من نفيس رسائل شيخ الإسلام ٢

إبطالُ وحْدَةِ الوُجُودِ

والردُّ على القائلينَ بهَا

منتدى إقرأ الثقافي
www.iqra.ahlamontada.com

لشيخ الإسلام تقي الدّين أحمَد بن تيمية رضيَ الله عنه

حقّقه وَخرَّج أحاديثه وَعلّق عليه
محمّد بن حمَد الحمُود النجدي



جمعية إحياء التراث الإسلامي
لجنة البحث العلمي - الكويت



لمزيد من الكتب وفي جميع المجالات

زوروا

منتدى إقرأ الثقافي

الموقع: HTTP://IQRA.AHLAMONTADA.COM/

فيسبوك:

HTTPS://WWW.FACEBOOK.COM/IQRA.AHLAMONTADA/



إبطال وحدة الوجود

لشيخ الإسلام

ابن تيمية رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

من نفيس رسائل شيخ الإسلام (٢):

إبْطَالُ وحْدَةِ الوُجُودِ

والردُّ على القائلينَ بها

لشيخ الإسلام تقيِّ الدِّين أحمد بن تيمية رضي الله عنه

حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه

محمد بن حمد الحمود النجدي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م



جمعية إحياء التراث الإسلامي
لجنة البحث العلمي - الكويت
ص.ب : ٥٥٨٥ الصفاة 13056 الكويت
هاتف : ٥٣٣٩٠٦٨/٩ - فاكس : ٥٣٣٩٠٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلَّغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله تعالىٰ حق جهاده، فصلوات الله عليه وعلىٰ آله الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعـد:

فهـذه هي الرسالة الثانية[1] من نفيس رسائل الإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية الدمشقي سقىٰ الله ثراه، وجعل الفردوس الأعلىٰ مثواه، نقدمها لمحبي نهج الشيخ رحمه الله تعالىٰ في اتباع كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ والتزام سبيل السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد تعرض فيها الشيخ رحمه الله تعالىٰ لموضوع خطير، وعالج انحرافاً

١ـ الرسالة الأولىٰ كانت: «الوصية الكبرىٰ» وقد طبعت في الكويت وفي دار ابن الجوزي بالسعودية، وفي مكتبة السنة بمصر فلله الحمد.

عقديا عاصره وشاهده وناقش أصحابه ودعاته، ألا وهو عقيدة «وحدة الوجود».

وعقيدة «وَحْدَة الوجود» أو الاتحاد بين الخالق والمخلوق، أو حلول الربِّ فيه، قول شيطاني قديم، تسرَّب للمنتسبين للتصوف من مصادر دخيلة علىٰ الإسلام، كالأفلاطونية، والزرادشتية والمجوسية والهندوسية والجينية والبوذية، وأخيراً النصرانية.

وقد ترتب علىٰ هذه العقيدة الفاسدة عند المتصوفة وأتباعهم نتائج سيئة، وانحرافات خطيرة، منها:

أنه لا فرق بين الخالق والمخلوق، ولا الرب والعبد وإنما الكل شيء واحد، وذات واحدة!!

وأن كل ما عُبِدَ من دون الله تعالىٰ فهو حقٌّ!! لأنه الله في الحقيقة! وبالتالي فلا إنكار علىٰ المشركين وعبدة الأوثان الذين امتلأ المصحف بالردِّ عليهم، وإنكار أفعالهم وشركياتهم! بل ولا إنكار علىٰ فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلىٰ، لأنه ما قال إلا صواباً!! وأن موسىٰ عليه الصلاة والسلام كان ضيق الفهم لمَّا أنكر عليه؟!!

ومنها: إسقاط التكاليف الشرعية عن أنفسهم، كالصلاة ونحوها، كقول بعضهم: صلاة العارفين من الكفر! كما سيأتي في ثنايا هذه الرسالة.

ومنها: الإنحراف في الإيمان بالقدر، والقول بالجبر، وأن العبد لا فعل له في الحقيقة وإنما الفاعل هو الله تعالىٰ، حتىٰ قال قائلهم: أقام العباد علىٰ ما أراد!!

وقد أفرد له شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ هنا فصلا كاملاً في الرد عليه.

وغير ذلك من الكفر والإلحاد، والفساد العريض في الدين والدنيا.

ولم تكن هذه العقيدة الكافرة المارقة، والفكرة المنحرفة، هي الضلالة الوحيدة للمتصوفة ـ وإن كانت أعظمها ـ وإنما كان التصوف باباً كبيراً ولج منه شرور كثيرة على المسلمين في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم، مثل: السلبية والتواكل (وهو غلو في التوكل).

وإلغاء شخصية الإنسان وتعظيم شخصية الشيخ وتقديسها، وتقليده تقليداً أعمىٰ وطاعته في معصية الله تعالىٰ.

وترك طلب العلم الشرعي وازدراءه.

وترك طلب المعاش.

والرهبنة وترك الزواج وتحريم الطيبات.

والسياحة في الفلوات، وعمل بدعة «الخلوات».

والذكر والرقص علىٰ الطبول والشَّبَّابات.

وتعظيم القبور بالتمسح والطواف والنذر والذبح والحلف والموالد.

والفخر بأنواع الدعاوي كختم الولاية، والعلو علىٰ مقام النبوة والرسالة.

وتعاطي السحر والخوارق الشيطانية.... وأمور أخرىٰ لا تكاد تحصر من البلاء!!

وقد أوضح شيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ في ختام هذه الرسالة خطورة

هؤلاء علىٰ الأمة لأنهم يظهرون بمظهر الزهد والعبادة، ويلبسون الحق بالباطل، فيخفىٰ أمرهم علىٰ العامة السذج، فيكونون أخطر علىٰ الأمة من اليهود والنصارىٰ فقال:

«فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولىٰ من إنكار دين اليهود والنصارىٰ الذي لا يضل به المسلمون، لا سيما وأقوال هؤلاء شرٌّ من قول اليهود والنصارىٰ، ومن عرف معناها أو اعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالىٰ: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩] والنفاق إذا عَظُم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب، وكان في الدَّرك الأسفل من النار».

وقال في بيان خطورة علومهم الفاسدة وأثرها في الأمة: «فإن ضرر هذه علىٰ المسلمين (أي مقالاتهم) أعظم من ضرر السموم التي يأكلونها ولا يعرفون أنها سموم، وأعظم من ضرر السُّرَّاق والخونة الذين لا يُعرفون أنهم سُرَّاق وخونة، فإن هؤلاء غاية ضررهم: موت الإنسان أو ذهاب ماله، وهذه مصيبةٌ في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء فيسقون الناسَ شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه! ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويُظهرون كلام الكفار والمنافقين في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم علىٰ أن يصير مؤمناً ولياً لله فيصير منافقاً عدواً لله. . » إلىٰ آخر ما قال رحمه الله تعالىٰ.

وقد قيل للإمام أحمد رحمه الله: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أم يتكلم في أهل البدع، فقال: إذا قام وصلىٰ واعتكف فإنما هو

لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

قال شيخ الإسلام معلقاً علىٰ كلامه: «فبيَّنَ أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعه ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم علىٰ ذلك؛ واجب علىٰ الكفاية بإتفاق المسلمين.

ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب، وما فيها من الدين إلا تبعا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً».[1]

١ـ مجموع الرسائل (٥/١١٠).

* ما أُلِّف في هذا الموضوع:

من الكتب المؤلفة في هذا الباب: «وحدة الوجود» و«الحلول» و«الإتحاد» كتابان لبرهان الدين البقاعي إبراهيم بن عمر المحدِّث المفسر العلامة المؤرخ المتوفي سنة ٨٨٥ هـ وهما: «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» والكتاب الآخر «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد»، نقد فيها ابن عربي وابن الفارض بخاصة، والتصوف المشاكل لدينهما بعامَّة.

«ومنهاج البقاعي في النقد يقوم علىٰ أصلين:

الأول: نقل فيه نصوصاً كثيرة عن «فصوص الحكم» لابن عربي، وعن «التائية الكبرىٰ» لابن الفارض، وقليلاً ما يُعلِّق البقاعي علىٰ هذه النصوص، أو يكشف عما فيها من مجافاةٍ لروح التوحيد القرآني، معتمداً علىٰ فطنة القارىء ومعرفته بدينه، فهما كفيلان بإدراك ما في هذه النصوص من كفرٍ ومجوسية، يدركها القارىء حتىٰ باللمحة الفكرية الهافية.

الآخر: ذكر فتاوي كثيرة عن أعلام شيوخ القرون: السابع والثامن والتاسع الهجرية، ومما لاحظته: أن المؤلف لم ينتقل عن ابن تيمية سوىٰ النِّزر اليسير جداً، بيد أن هذا مما يجعل الكتاب خطره الكبير في نظر المتصوفة علىٰ معتقدهم، إذ ما يستطيعون اتهام أحدٍ ممن ذكرهم البقاعي بالخصومة، كما كانوا يفعلون - مفترين - بالنسبة إلىٰ الشيخ الإمام ابن تيمية، فهؤلاء الذين أفتوا بكفر ابن عربي وابن الفارض:

إما فريق قد ناهض ابن تيمية وخاصمه، ولكنه أدلىٰ معه بدلوه في

فضح الصوفية، وإما فريق لم يُعرف عنه لا موالاة جلية ولا خصومة صريحة لابن تيمية ـ وإن كانوا فيما يذهبون إليه في مسألة العقيدة يخالفون ابن تيمية ـ فجلُّهم من أئمة الأشاعرة، وإما فريق كان له جاه، ومقام كبيران في التصوف كعلاء الدين البخاري، وهو أقسىٰ هؤلاء جميعاً حملة علىٰ ابن عربي وابن الفارض ومن دان بدينهما»[1]

١ـ من مقدمة «مصرع التصوف» أو «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» قدم له وحققه فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل رحمه الله تعالىٰ عضو جماعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

* **نسخة الكتاب:**

وقد اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب علىٰ النسخة المطبوعة ضمن: «مجموعة الرسائل والمسائل» (١/ ٦١-١٢٠) والتي نشرها الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله تعالىٰ، وقال في آخرها:

«أرسل إلينا هذه الرسال مع رسائل وفتاوىٰ أخرىٰ لشيخ الإسلام وناصر السنة الإمام أحمد تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه: أخونا في الله الأستاذ الفاضل الشيخ محمد بهجة الأثري البغدادي بإرشاد أستاذه صفوة أصدقائنا علامة العراق ورحلة أهل الآفاق السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالىٰ، وهي منقولة الأستاذ الفاضل محمد علي الفضيلي الزبيدي البغدادي عن نسخة كثيرة الغلط والتحريف والسقط قال: إنه اجتهد في تصحيحها ما استطاع. ونقول: إننا اجتهدنا بعده فصححنا مما بقي من ذلك ما تيسر لنا ونبهنا علىٰ بعض ما يتيسر في الحواشي وعلىٰ بعض آخر بعلامة الإستفهام (؟) بجانبه. ونحمد الله تعالىٰ أن صار المراد منها كله مفهوماً، فنسأله تعالىٰ أن يُثيب الجميع ـ المؤلف والناسخ والمرسل والمرشد والناشر بفضله وكرمه».

* **عملي في الكتاب:**

أما عملي في الكتاب فيتلخص فيما يلي:

١ـ محاولة تقديم الكتاب بأكمل صورة من توضيح العبارات المبهمة، وإصلاح الأخطاء الطباعية، والإشارة إلىٰ السقط في العبارات، وشكل معظم الكتاب.

٢ـ عزو الآيات القرآنية لمواضعها من الكتاب الكريم.

٣ـ تخريج الأحاديث النبوية من مظانِّها، وبيان درجة الحديث بما يتوافق مع قواعد علماء الحديث، والاكتفاء بالصحيحين إذا كان الحديث فيهما طلباً للاختصار.

٤ـ ترجمة الأعلام المذكورين في الكتاب، وقد يلحظ القارىء شيئاً من الطول في ذلك وقصدي بيان سيرتهم الذاتية تحذيراً للناس منهم.

٥ـ التعليق علىٰ بعض الفقرات التي رأيت أنها بحاجة إلىٰ توضيح أو زيادة بيان، وأبقيت علىٰ أكثر تعليقات الشيخ محمد رشيد رضا، وقد أتعقبه بمزيد من التوضيح.

وقبل أن يقف القلم عن سطر الكلم، أرىٰ لزاماً عليَّ ـ عملاً بقوله ﷺ «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[1] ـ أن أتوجه بالشكر للأخ الشيخ

١ـ حديث حسن، أخرجه الطيالسي وأحمد والبخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة مرفوعاً به.

المفضال/ طارق العيسىٰ مدير إدارة بناء المساجد والمشاريع الإسلامية بجمعية إحياء التراث الإسلامي، الذي كان له الفضل في حثّي علىٰ تحقيق هذه الرسالة.

وأسأل الله العلي العظيم الجواد الكريم أن يوفقنا وإياه وجميع إخوتنا لطاعته، وأن يستعملنا لخدمة دينه، وإعلاء كلمته في الأرض، وأن يتوفانا مسلمين، إنه هو البر الرحيم، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

محمد بن حمد الحمود النَّجدي

الكويت - ٣ من ربيع الأول ١٤١٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله تعالىٰ عنه عن كراس وُجِدَ بخطٍّ بعض الثقات!! قد ذكر فيها كلام جماعة من الناس فما فيه:

(قال) بعض السلف!![1]: إنَّ الله تعالىٰ لطَّف ذاته فسماها حقا، وكثفها فسماها خلقا!!

قال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل[2]: إنَّ الله ظَهَرَ في الأشياء حقيقةً واحتجب بها مجازاً! فمن كان من أهل الحق والجمع شهدها مظاهر ومَجَالي، ومَنْ كان مِنْ أهل المجاز والفرق شهدها سُتُوراً وحُجُبا؟!!

١ـ حاشا السلف، وعلماء السلف أن يتفوَّهوا بمثل هذه العبارات!!

٢ـ هو محمد بن سوار بن إسرائيل نجم الدين، أبو المعالي الشيباني الدمشقي، ولد سنة ثلاث وستمائة، وصحب الشيخ علي بن أبي الحسن بن منصور اليسري الحريري (وتأتي ترجمته) في سنة ثمان عشرة، وكان قد لبس الخرقة قبله من الشيخ شهاب الدين السهروردي (وتأتي ترجمته أيضاً) وزعم أنه أجلسه في ثلاث خلوات.

قال الحافظ ابن كثير: وكان أديباً فاضلاً في صناعة الشعر، بارعاً في النظم، ولكن في كلامة، ونظمه ما يُشير إلىٰ نوع الحلول والاتحاد، علىٰ طريقة ابن عربي وابن الفارض وشيخه الحريري، والله أعلم بحالة وحقيقة أمره. =

(قال) وقال في قصيدة له:

لقــد حقَّ لي رفض الــوجــودِ وأهــلِه
وقــد علقـت كَفَّــايَ جَمعــاً بمــوجــدي

ثم بعد مُدَّةٍ غَيَّر البيت بقوله:

لقد حُقَّ لي عِشْقُ الوجود وأهلِه

فسألته عن ذلك فقال: مقام البداية أنْ يَرَىٰ الأكوان حُجُباً فيرفضها، ثم يَرَاها مظاهر ومَجالي فيحق له العِشْقُ لها، كما قال بعضهم:

أُقــبِّــلُ أرْضــاً سَارَ فيــهـا جمالُهــا
فكــيــف بِدَارٍ دَارَ فيــهــا جَمَالُهــا

(قال) وقال ابن عربي[1] عقيب إنشاد بيتي أبي نواس:

رَقَّ الــزُّجــاج ورَاقَــت الخــمــرُ
فتَشَــاكــلا فتــشــابــه الأمــر
فكــأنَّــما خَمْرٌ ولا قَدَح
وكــأنــما قَدَحٌ ولا خَمْرُ

:لَبِسَ صُورة العالم فظاهره خلقه، وباطنه حقه!!

= توفي بدمشق سنة سبع وسبعين وستمائة.

قلت: وقد ساق له في ترجمته هذا البيت من قصيدته الداليَّة المطولة وهي تدل علىٰ مذهبه!

أنظر: «البداية والنهاية» (١٣/٢٨٣-٢٨٧).

١- هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي ابن عربي، =

= نزيل دمشق. ذكر أنه سمع من ابن بشكوال وابن صاف، وسمع بمكة من زاهر بن رستم، وبدمشق من ابن الحَرَستاني، وببغداد، وسكن الروم مدة.

كتب إنشاء لبعض الأمراء بالمغرب. ثم تزهَّد وتغردً، وتعبد وتوحد، وسافر وتجرد، وأَتْهم وأَنجد، وعمل الخَلَوات.

قال الذهبي: وعلَّق شيئاً كثيراً في تصوف أهل الوحدة، ومن أردإ تواليفه كتاب «الفُصوص» فإنْ كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كُفْرٌ! نسأل الله العفو والنجاة، فَوَاغَوْثاه بالله!

قال: وقد عظَّمه جماعةٌ وتكلَّفوا لِما صدر منه ببعيد الاحتمالات، وقد حكىٰ العلامة ابنُ دقيق العيد شيخُنا أنه سَمِع الشيخ عزالدين ابن عبدالسلام يقول عن عن ابن العربي: شيخ سوءٍ كذَّابٌ، يقول بقدم العالم ولا يُحرِّم فرجاً! (وفي لسان الميزان: شيخ سوء شيعي كذاب، ونحوها في الميزان).

وقال في الميزان: وصنَّف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة، فقال أشياء منكرة، عدَّها طائفةٌ من العلماء مُروقاً وزندقة، وعدَّها طائفة من العلماء من إشارات العارفين ورموز السالكين!! وعدَّها طائفة من مُتشابه القول، وأنَّ ظاهرها كفرٌ وضلال وباطنها حقٌ وعرفان، وأنه صحيح في نفسه كبير القَدْر!

وآخرون يقولون: قد قال هذا الباطل والضلال، فمن الذي قال إنه مات عليه؟ فالظاهر عندهم من حاله أنه رجع وأناب إلىٰ الله، فإنه كان عالماً بالآثار والسنن، قوىٰ المشاركة في العلوم.

ثم قال: وقولي أنا فيه: إنه يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحقُّ =

= إلىٰ جنابة عند المرت، وختم له بالحسنىٰ، فأما كلامه فَمَنْ فهمه وعرفه علىٰ قواعده الاتحادية، وعلم محط القوم، وجمع بين أطراف عباراتهم، تبيَّن له الحقُّ في خلاف قولهم.

وكذلك مَنْ أمعنَ النظر في «فصوص الحِكَم» أو أنعم التأمُّل: لاح له العجب، فإنَّ الذكي إذا تأمل من ذلك الأقوالَ والنظائرَ والأشباه فهو أحدُ رجلين: إما من الاتحادية في الباطن، وإما من المؤمنين بالله الذين يعدُّون أن هذه النِّحلة مِنْ أكفر الكفر، نسأل الله العفو، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا، وأن يُثبِّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فوالله لَأنْ يعيش المسلم جاهلاً خَلْفَ البقر، لا يعرف من العلم شيئاً سوىٰ سورٍ من القرآن يصلي بها الصلوات، ويؤمن بالله وباليوم الآخر؛ خيرٌ له بكثير من هذا العِرفان وهذه الحقائق!!

وقال الحافظ ابن كثير: . . وأقام بمكة مدة وصنَّف فيها كتابه المسمىٰ «بالفتوحات المكية» في نحو عشرين مجلداً، فيها ما يُعقل وما لا يعقل وما يُنكر ومالا يُنكر، وما يُعرف ومالا يُعرف، وله كتابة المسمىٰ «بفصوص الحكم» فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفرٌ صريح.

وقال أبو شامة: وله تصانيف كثيرة وعليه التصنيف سهل، وله شعر حسن، وكلام طويل علىٰ طريق التصوف، وكانت له جنازة حسنة.

انظر ترجمته: «ميزان الاعتدال» (٣/٦٥٩-٦٦٠)، «سير أعلام النبلاء» (٢٣/٤٨-٤٩) كلاهما للذهبي، «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/١٥٦) «لسان الميزان» لابن حجر (٥/٣١١-٣١٥).

وقد تتبع ما في كتابه «الفصوص» من كفريات العلامة برهان الدين البقاعي (ت =

وقال بعض السلف!!: عَينُ ما تَرَىٰ، ذَاتٌ تُرَىٰ، وذَاتٌ لا تُرىٰ عَينُ ما تَرَىٰ!! الله فقط والكثرة وهم!

قال الشيخ قطب الدين ابن سبعين[1]: ربٌّ مالك، وعبد هالك، وانتم ذلك، الله فقط والكثرة وهم؟!

للشيخ محي الدين ابن عربي:

يا صورةَ انسٍ سِرُّها مَعْنائي
ما خلقت للأمر ترىٰ لولائي
شِئْنَاكَ فأَنْشَأْناكَ خَلْقاً بَشَراً
تَشْهدُنا في أَكملِ الأَشْياء

---

٨٨٥ هـ) وذلك في كتابه «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» وقد طبع بتحقيق عبدالرحمن الوكيل. (انظر المقدمة).

١- هو عبدالحق بن إبراهيم بن محمد، أبو محمد المقدسي الرقوطي، نسبة إلىٰ «رقوطة» بلدة قريبة من «مرسية» ولد سنة ٦١٤هـ.

قال الحافظ ابن كثير: واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولَّد له من ذلك نوعٌ من الإلحاد، وصنَّف فيه، وكان يعرف «السيميا» (علم السحر) وكان يُلبِّس بذلك علىٰ الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعم أنه حالٌ من أحوال القوم، وله من المصنفات كتاب «البُدُو» وكتاب «الهُوُ»!

وقد أقام بمكة واستحوذ علىٰ عقل صاحبها ابن سمي، وجاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجىٰ - فيما ينقل عنه - أن يأتيه فيه وحي كما أتىٰ النبي ﷺ!! بناءً علىٰ ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة! وأنها فيضٌ يفيض علىٰ العقل

وطلب بعض أولاد المشايخ للحر ما يرى من والده الحج[1] فقال له الشيخ: طُفْ يا بني ببيتٍ ما فارقه الله طَرْفَة عين.

(وقال) قيل عن رابعة[2] إنها حَجَّت فقالت: هذا الصَّنَمُ المعبودُ في الأرض!! وإنَّه ما وَلجه الله ولا خَلا منه!

= إذا صفاً! فما حَصَل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إنْ كان مات علىٰ ذلك.

وقد كان إذا رأىٰ الطائفين حول البيت يقول عنهم: كأنهم الحمير حول المدار!! ولو أنهم طافوا بي كان أفضل من طوافهم بالبيت!! فالله يحكم فيه وفي أمثاله.

وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال.

قال الحافظ ابن حجر: وذكر ابن دقيق العيد أنه جلس معه من ضحوة إلىٰ قريب الظهر وهو يسردُ كلاماً يعقل مفرادته، ولا يعقل مركباته!

كذا حكاه الذهبي.

وقال (أي الذهبي): واشتهر عنه مقالة رديَّة وهي قوله: لقد كذب ابنُ أبي كبشة علىٰ نفسه حيث قال: «لا نبي بعدي» !!

هلك في سنة ٦٦٩ هـ.

ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٣/٢٦١)، «لسان الميزان» (٣/٣٩٢).

(١)ـ كذا في الأصل وأشار إليه الناشر، فلعل صوابها: وطلب بعض أولاد المشايخ الحج لِما يرىٰ من والده الحج. . الخ، وانظر شرحها (ص ٥٧)

٢ـ هي رابعة بنت إسماعيل العدوية أم عمرو مولاة آل عتيك، البصرية العابدة المشهورة.

= قال ابن الجوزي: كانت رابعة فطنة، ومن كلامها الدال علىٰ قوة فهمها قولها: استغفر الله من قلة صدقي في قولي استغفر الله.

وقال ابن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمةً كثيرة، وحكي عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدلُّ علىٰ بُطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

ولقد جعلتُكَ في الفؤادِ مُحَدِّثي
وأبحتُ جسمي مَنْ أرادَ جُلوسي

فنسبها بعضهم إلىٰ الحلول بنصف البيت، وإلىٰ الإباحة بتمامه.

وتعقبه الذهبي بقوله: فهذا غلوٌ وجهل! ولعل مَنْ نسبها إلىٰ ذلك مُباحي حلولي ليحتج بها علىٰ كفره، كاحتجاجهم بخبر «كنتُ سمعه الذي يسمع به».

وقال ابن كثير: . . . وأثنىٰ عليها أكثر الناس، وتكلَّم فيها أبو داود السجستاني، واتهمها بالزندقة، فلعله بلغه عنها أمر.

وأنشد لها السهروردي في المعارف. . (فذكر البيت السابق وآخر)

قال: وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة، وصيام نهار وقيام ليل، ورؤيت لها منامات صالحة، فالله أعلم.

توفيت بالقدس الشريف سنة ١٨٥ هـ.
وقيل: سنة ١٣٥ هـ.

ترجمتها في: «صفة الصفوة» لابن الجوزي، «السير للذهبي (٨/ ٢٤١-٢٤٣) «البداية والنهاية» (٩/ ١٨٦-١٨٧) «أعلام النساء» لعمر كحالة (١/ ٤٣٠-٤٣٣).

وفيه للحلاَّج[1]:

سُبْحان مَنْ أَظْهَرَ ناسُوتُهُ
سِرَّ سَنَا لاهُوتِه الثَّاقِبِ
ثم بَدَا مُسْتَتِراً ظاهِراً
في صُورَةِ الآكِلِ والشَّارِبِ

قال وله:

عَقَدَ الخلائِقُ في الإله عَقَائِداً
وأنا اعْتَقَدُّتُ جَمِيعَ ما اعْتَقَدُوه

وله أيضاً:

بَيني وبينك إنِّيٌّ تُزاحِمُني
فارْفَع بحَقِّك إنِّي مِنَ البَيْنِ

---

(١) ـ هو الحسين بن منصور بن مَحْمي أبو عبدالله ويقال: أبو مغيث، الحلاَّج الصوفي الفارسي البيضاوي.

وكان جده: محمي مجوسياً.

نشأ الحسين بتُسْتَر، فصحب سهل بن عبدالله التستري وصحب ببغداد الجنيد، وأبا الحسين النوري وأكثر الترحال والأسفار والمجاهدة.

قال ابن الوليد: كان المشايخ يستثقلون كلامه وينالون منه، لأنه كان يأخذ نفسه بأشياء تخالف الشريعة وطريقة الزُّهاد، وكان يدَّعي المحبة لله، ويظهر منه ما يخالف دعواه.

وقال الخطيب البغدادي: «والصوفية مختلفون فيه، فأكثرهم نفىٰ أن يكون الحلاج =

= منهم، وأبىٰ أن يَعدَّه فيهم، وقَبِلَه من متقدميهم:

أبي العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصر أبا ذي النيسابوري وصححوا له حاله، ودونوا كلامه، حتىٰ قال ابن خفيف: الحسين بن منصور عالم رباني!».

قال كاتب هذه السطور: وقد عُرض عليه الشعر المذكور فقال: علىٰ قائل ذا لعنةُ الله، فقيل له هذا شعر الحسين الحلاج، فقال: إن كان هذا اعتقاده فهو كافر، فربما يكون مقولاً عليه.

وكان له حيل وخدع ـ كما هي عادة المتصوفة ـ يخدع بها الناس.

قال التنوخي أخبرنا أبي قال: من مَخاريق الحلاج أنه كان إذا أراد سَفَراً ومعه من يتنمَّس عليه (أي يحتال) ويَهُوسُه، قدَّم قبل ذلك من أصحابه الذين يكشِفُ لهم الأمر، ثم يمضي إلىٰ الصحراء، فيدفن فيها كَعْكاً وسُكراً وسَويقاً وفاكهة يابسة، ويُعلِّم علىٰ مواضعها بحجر، فإذا خرج القوم وتعبوا، قال أصحابُه: نريد الساعةَ كذا وكذا، فينفرد ويُري أنه يدعو! ثم يجيءُ إلىٰ الموضع فيخرجُ الدَّفين المطلوب منه، أخبرني بذلك الجمُّ الغفير.

وقال الفقيه أبو علي بن البنَّاء: كان الحلَّاج قد ادَّعىٰ أنه إله! وأنه يقول بحلول اللاهوت في الناسوت، فأحضره الوزيرُ علي بن عيسىٰ فلم يجده إذْ سأله يُحسِنُ القرآن والفقه والحديث، فقال: تعلمك الفرضَ والطُّهرو أجدىٰ عليك من رسائل لا تدري ما تقول فيها! كم تكتب ـ ويلَك ـ إلىٰ الناس: تبارك ذو النور الشَّعْشَعاني؟! ما أحوجك إلىٰ أدب! وأمر به فصلب في الجانب الشرقي ثم في الغربي، ووجد في كتبه: إني مُغرِق قوم نوح، ومهلك عاد وثمود!

(قال) وقال الشيخ شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي الحلبي المقتول[1]: بهذه

وكان يقول للواحد من أصحابه: أنت نوح، ولآخر: أنت موسىٰ، ولآخر: أنت محمد!!

وقال أبو عمر بن حَيَّوية: لما أُخرج الحلاَّج ليُقتل، مضيتُ وزاحمتُ حتىٰ رأيته، فقال لأصحابه: لا يَهُولنَّكم فإني عائدٌ إليكم بعد ثلاثين يوماً!!

قال الذهبي: فهذه حكايةٌ صحيحة توضِّح لك أن الحلاَّج مُمخرِق كذَّاب حتىٰ عند قتله!

وكان قتله بإجماع الفقهاء سنة ٣٠٩هـ

وسرْدُ حيلة وتلبيسه وكذبه وكفره أمر يطول، فلتراجع ترجمته وهي مطولة في: «تاريخ بغداد» (١٢/٨-١٤١١) «ميزان الاعتدال» (٥٤٨/١) و«السير» (١٤/٣١٣-٣٥٤) «البداية والنهاية» (١١/١٣٢-١٤٤)

(١)- هو الشهاب السُّهروردي الفيلسوف.

قال ابن خلكان: يحيىٰ بن حبيش بن أميرك شهاب الدين، وقيل اسمه: أحمد، وقيل اسمه كنيته وهو أبو الفتوح، وكان أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية، جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً في الأصول الفقهية، مفرط الذكاء، فصيح العبارة، وقال: إنه يعرف السيمياء، وله تصانيف كثيرة، ومن كلامه: اللهم خلِّص لطيفي من هذا العالم الكثيف!!

وقال الذهبي: صاحب السيميا قُتل لسوءِ معتقده، وكان أحد الأذكياء، قُتل شاباً في سنة ستة وثمانين وخمس مائة بحلب ولم يرو شيئاً.

انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٢٦٨/٦-٢٧٤) «ميزان =

الإنِّية[1] التي طلبَ الحلاجُ رفعا تَصرُّفَ الأغيارُ في دمه.

وكذلك قال السلف!!: الحلاج نصف رجل، وذلك أنه لم ترفع له الإنِّية بالمعنىٰ فرفعت له صورة.

قالوا لمحيي الدين بن العربي:

والـلّهِ ما هي إلا حيرة ظَهَـرَت
وبي حَلَفـتُ وأن المـقـسـمَ الـلّهُ

وقال فيه: المنقول عن عيسىٰ عليه السلام أنه قال: إنّ الله تبارك وتعالىٰ اشتاقَ أن يَرَىٰ ذاتَه المقدسة!! فخلق مِنْ نوره آدمَ عليه السلام، وجعله كالمرآةِ ينظر إلىٰ ذاتِه المقدسة فيها، وإني أنا ذلك النُّور وآدم المرآة؟!!

قال ابن الفارض[2] في قصيدته (نظم السلوك):

وشـاهِـدٌ إذا اسْتَجْلَيتَ نَفْسَـك مَنْ ترىٰ
بغـير مِرَاءٍ في المـرْآة الـصَّـقِيـلَةِ
أَغَـيْرُكَ فيـهـا لاحَ أم أنـتَ نَاظِـرٌ
إليـكَ بها عنـدَ انـعـكـاسِ الأشِـعَّـةِ

الاعتدال» (٢/٢٨٢)، «لسان الميزان» (٣/١٥٦ـ١٥٨).

وقد يشتبه بالشهاب السُّهروردي صاحب «العوارف» واسمه عمر بن محمد القرشي التيمي الصوفي المتوفي سنة ٦٣٢ هـ. انظر «السير» (٢٢/٣٧٥).

(١) ـ في الأصل: البقية، ولعل الصواب ما أُثبت، وقد أشار إليه الناشر.

(٢) ـ هو عمر بن علي بن مُرْشد أبو القاسم الحموي ثم المصري، شرف الدين، =

= صاحب «الاتحاد» الذي قد ملأ به «التَّائية».

قال أبو عبدالله الذهبي في «الميزان»: ينعقُ بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بليةٌ عظيمة، فتدبَّر نظمه ولا تستعجل، ولكنك حسن الظن بالصوفية! وما ثَمَّ إلا زِيُّ الصوفية، وإشارات مجملة، وتحت الزي والعباءة فلسفةٌ وأفاعي!! فقد نصحتك، والله الموعد.

وقال في «السير»: حدَّث عنه المنذري، فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقةٌ ولا ضلال!! اللهم ألهمنا التقوىٰ، وأعذنا من الهوىٰ، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله!

وقال الحافظ ابن حجر: وقد كنت سألت شيخنا الإمام سراج الدين البُلقيني عن ابن العربي فبادر الجواب بأنه: كافر، فسألته عن ابن الفارض، فقال: لا أحب أن أتكلم فيه، قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأنشدته من «التائية» فقطع عليَّ بعد إنشاد عدة أبيات بقوله: هذا كفرٌ هذا كفر!

وقال البقاعي في كتابه «تحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد» (ص ٢٥٧) تحت عنوان «تواتر الخبر بتكفير العلماء له: هذا مستندنا وهو قطعيٌّ من جميع وجوهه، تواتر لنا توتراً معنوياً نسبة العلماء له إلىٰ الكفر، وتواتراً حقيقياً أن التائية نظمه، ونحن علىٰ القطع بأنها صريحة في القول بالاتحاد بالذات والصفات...». وقصيدته مطبوعة.

هلك سنة ٦٣٢هـ

انظر ترجمته في: تكملة المنذري (٣/٣٨٨-٣٨٩)، «الميزان» (٣/٢١٤-٢١٥)، =

(قال) وقال ابنُ إسرائيل: الأمرُ أمران: أمر بواسطة، وأمر بغير واسطة، فالأمرُ الذي بالوسائط قِبَلَهُ مَنْ شاءَ الله، وردَّه مَنْ شاء الله تعالى، والأمر بغير واسطةٍ لا يمكن خِلافُه، وهو قوله تعالىٰ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فقال له فقير: إنَّ الله تعالىٰ قال لآدم بلا واسطة: لا تَقْرب الشجرة، فَقربَ وأكلَ، فقال: صدقتَ، وذلك أنَّ آدمَ إنسانٌ كامل.

وكذلك قال شيخنا علي الحريري[1]: آدم صِفيُّ الله تعالىٰ، كان توحيده ظاهراً وباطناً، فقال: فكان قوله تعالىٰ «لا تأكل» ظاهراً، وكان أمره «كُلْ» باطنا، فأكل فكذلك قوله تعالىٰ، وإبليس كان توحيدُه ظاهراً، فأمر بالسجودِ لآدمَ فرآه غَيْراً فلم يسجد، فغير الله عليه وقال (اخرج منها) الآية.

= «السير» (٢٢/٣٦٨-٣٦٩)، «البداية» (١٣/١٤٣)، «لسان الميزان» (٤/٣١٧-٣١٩)، وفصَّل القول فيه البقاعي في كتابه الذي ذكرناه آنفاً، وهو مطبوع مع «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» كما سبق بيانه في المقدمة.

١- هو علي بن أبي الحسن بن منصور ابن الحريري، الحوراني.

قال السيف الحافظ: كان الحريري من أفتن شيءٍ وأضرِّه علىٰ الإسلام، تظهر منه الزندقةُ، والاستهزاء بالشرع، بلغني من الثقات أشياءُ، يُستعظم ذكرها من الزندقة والجرأة علىٰ الله! وكان مستخفاً بأمر الصلوات!!

قال: وحدثني أبو إسحاق الصَّريفيني قال قلت للحريري: ما الحجة في الرقص؟ قال: (إذا زلزت الأرض زلزالها)!!!

وكان يُطعم وينفق ويتبعه كلُّ مُريب، شهد عليه خلق كثيرٌ بما يوجب القتل،

(قال) وقال شَخصٌ لسيدي حَسَن: يا سيدي إذا كان الله يقول لنبيه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] أيش نكون نحن؟ فقال سيدي: ليس الأمر كما تظن! قوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ أيش غير الإثبات للنبي ﷺ، كقوله تعالىٰ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠].

= ولم يُقدم السلطان علىٰ قتله، بل سجنه مرتين.

وفي «السير» قال ابن اسرائيل: قال لي الشيخ: ما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**﴾ قلت: يقول سيدي، قال: ويحك مَنْ المُوقِدُ ومن المُطفِىء، لا يُسمع لله كلاماً، إلا منك فيك، فامْحُ إنِّيَتَكَ!!

وقال علي بن أنحب في «تاريخه»: الفقير الحريري شيخ عجيب!!كان يعاشر الأحداث، كان يقال عنه: إنه مُباحي! ولم تكن له مراقبة، كان يُخرِّب، والفقهاء، ينكرون فعله، وكان له قبول عظيم!!

وقال الذهبي عنه: كبيرُ الفقراء البَطَلَةِ..

وقال ابن كثير: وبدرت منه أفعال أنكرها عليه الفقهاء كالشيخ عزالدين ابن عبدالسلام والشيخ تقي الدين ابن الصلاح والشيخ أبي عمرو بن الحاجب شيخ المالكية وغيرهم.

أراح الله منه العباد سنة ٦٤٥ هـ

ترجمته في: «السير» (٢٣/٢٢٤-٢٢٧)، «البداية» (١٣/١٧٣-١٧٤).

وفيه لأوحد الدين الكرماني[1]:

ما غِبْتَ عَن القَلبِ ولا عن عَيني
ما بينكم وبَيْنَنا مِنْ بَيْنِ

غيره:

لا تحسب بالصَّلاةِ والصَّوم تَنَال
قُرباً ودُنوّاً مِنْ جَمالٍ وجَلال
فَارِقْ ظُلمَ الطَّبعِ تَكُنْ مُتَّحِداً
باللّهِ! وإلا كُلُّ دَعْوَاك مُحال

غيره للحلاج:

إذا بَلَغَ الصَّبُّ الكمال مِنَ الهوىٰ
وغابَ عن المذكور في سَطْوةِ الذِّكْرِ
يُشاهِدُ حَقاً حينَ يشهده الهوىٰ
بأنَّ صلاةَ العارفين مِنَ الكُفْرِ!

للشيخ نجم الدين بن اسرائيل:

الكونُ يُناديكَ أما تَسْمَعُني
مَنْ أَلَّفَ أَشْتَاتي ومَنْ فَرَّقني
أنظر أتراني مَنْظراً مُعتبرا
ما فيَّ سِوىٰ وُجُودِ مَنْ أوْجَدَني!

١- لم أعرفه.

وله:

ذَرَّات وُجُـودٍ هي للحـقِّ شُهـود
أنْ ليس لموجـودٍ سوىٰ الخَـلقِ وُجُـود[1]
والـكَـون وإنْ تَكَـثَّرْت عِدَّتُـه
مِنْـه إلىٰ عُلاه يَبْـدُو ويَـعـود

وله:

بَرئْـت إلـيـكَ مِنْ قولي وفـعـلي
ومِـنْ ذَاتي بَرَاءةَ مُسْـتَـقـيـل
ومَـا أنَـا في طراز الـكَـون شيءٌ
لأني مثـلُ ظلٍّ مُسْـتَـحـيـل

للعفيف التلمساني[2]:

أحـنُّ إلـيـه وهـو قَلبـي وهـل يُرىٰ
سوايَ أخُـو وجْـدٍ يحنُّ لقـلبـه
ويَحْـجُـبُ طَرفي عنـه إذْ هو نَاظـري
ومـا بُعـده إلا لإفـراط قربـه

١ـ لعل صوابه ـ علىٰ مراد قائله ـ: أن ليس لموجودٍ سوىٰ الحقِّ وُجود.

٢ـ هو سليمان بن علي بن عبدالله بن علي عفيف الدين التلمساني، الأديب الشاعر، من قبيلة «كوم» (بالمغرب)، تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق.
قال الحافظ بن كثير: وقد نُسب هذا الرجل إلىٰ عظائم في الأقوال والاعتقاد الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض.

وقال الذهبي: الأديب الشاعر، أحد زنادقة الصوفية، وقد قيل له مرة: أأنت =

قال بعض السلف: التوحيدُ لا لِسانَ له، والألسنةُ كلُّها لِسانه!!
(وفيه): لا يعرف التوحيد إلا الواحد، ولا تصح العبارة عن التوحيد، وذلك أنه لا يعبر عنه إلا بغير، ومن أثبت غيراً فلا توحيد له.

(وفيه): سمعت من الشيخ محمد بن بشر النواوي أنه وردَ سيدنا الشيخ علي الحريري إلىٰ جامع «نوىٰ»[1] قال الشيخ محمد: فجئتُ فقبلتُ الأرضَ

= نصيري؟ فقال: النُصيري بعضٌ منيٍّ! وأما شعره ففي الذروة العليا من حيث البلاغة والبيان لا من حيث الإتحاد (وقد تحرفت في العبر إلىٰ: الإيجاد!!).

ونقل ابن العماد كلام الذهبي ثم قال: وقال المناوي: والعفيف هذا من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة، وقال بعضهم: هو لحم خنزير في صحن صيني! وأنه يدرج السمَّ القاتل في كلامه لمن لا فِطنة له بأساس قواعده، ورموه بعظائم من الأقوال والأفعال، وزعموا أنه كان علىٰ قدم شيخه (يعني القونوي) في أنه لا يُحرِّم فرجاً!!

وأنَّ ما عنده ثمَّ غيرٌ ولا سوىٰ بوجه من الوجوه!! وأنَّ العبد إنما يشهد السِّوىٰ إذا كان محجوباً فإذا انكشف حجابه ورأىٰ أن ما ثَمَّ غيره تبيَّن له الأمر! ولهذا كان يقول: نكاح الأم والبنت والأجنبية واحد، وإنما هؤلاء المُحْجبون قالوا: حرام علينا فقلنا حرام عليكم!

قال كاتبه: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يسميه بـ «الفاجر التلمساني».

انظر ترجمته في: «العبر في خبر من غبر» للذهبي (٣٦٧/٥)، «البداية» (٣٢٦/١٣)، «شذرات الذهب» لا.من العماد (٤١٢/٥) «الإعلام» للزركلي (١٣٠/٣).

١- نوىٰ: بلفظ جمع نواة التمر وغيره: بُليدة من أعمال حوران، وقيل: هي =

بين يديه!! وجلست، فقال يا بني وَقَفْتُ مدةً مع المحبة، فوجدتها غير المقصود! لأنَّ المحبةَ لا تكون إلا مِنْ غيرٍ لغير وغير ماثَمَّ؟! ثم وقفتُ مدةً مع التوحيدِ فوجدته كذلك، لأنَّ التوحيدَ لا يكون إلا مِنْ عبدٍ لرب، لو أنصف الناس ما رأوا عبداً ولا معبوداً؟!!

(وفيه) سمعت من الشيخ نجم الدين بن إسرائيل مما أَسَرَّ إليَّ أنه سمع من شيخنا الشيخ علي الحريري في العام الذي تُوفِّي فيه قال: يا نجم! رأيتُ لَهَاتي الفَوْقَانية فوقَ السموات وحَنَكي تحتَ الأرضين؟! ونطق لساني بلفظةٍ لو سُمعت مني ما وَصَل إلىٰ الأرض مِنْ دَمي قطرة، فلما كان بعد ذلك بمدة، قال شخصٌ في حضرة سيدي الشيخ حسن بن الحريري: يا سيدي حسن! ما خَلَقَ الله أقل عقلا ممن ادَّعى أنَّه إله مثل فرعون ونمرود وأمثالهما، فقلت: أنا هذه المقالة ما يقولها إلا أجهلُ خلقِ الله، أو أعْرفُ خلقِ الله! فقال: صدقت!! وذلك أنه سمعت من جدك يقول رأيت كذا وكذا، فذكر ما روىٰ نجم الدين عن الشيخ. (وفيه) قال بعض السلف!! من كان عين الحجابِ علىٰ نفسه فلا حاجب ولا محجوب!!

(والمطلوب من السادة العلماء) أنْ يُبَيِّنوا لنا هذه الأقوال، وهل هي حقٌّ أو باطلٌ وما يُعرف به معناها وما يُبَيِّنُ أنها حقٌّ أو باطلٌ؟ وهل الواجبُ إنكارها أو اقرارها أو التسليم لمنْ قالها؟ وهل لها وجهٌ سائغٌ وما حكم من اعتقد معناها؟ إما مع المعرفةِ بحقيقتها وإما التأويل المجمل لمن قالها والمتكلمون أرادوا لها معنىً صحيحاً يوافق العقل والنقل ويمكن تأويل ما يُشكل منها وحملها علىٰ ذلك المعنىٰ وهل الواجبُ بيان معناها وكشف

= قصبتها، بينها وبين دمشق منزلان. معجم البلدان (٥/٣٠٦).

مَغْزاها، إذا كان هناك ناسٌ يؤمنون بها، ولا يعرفون حقيقتها؟ أم ينبغي السكوتُ عن ذلك وتركُ الناسِ يُعظِّمونها ويؤمنون بها مع عدمِ العلمِ بمعناها؟.

(فأجاب شيخ الإسلام) أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه:

الحمد لله رب العالمين، هذه الأقوال المذكور تشتمل علىٰ أصلين باطلين مخالفين لدين المسلمين واليهود والنصارىٰ مخالفتها للمعقول والمنقول:

(أحدهما) الحلول والاتحاد وما يقارب ذلك كالقول بوحدة الوجود، كالذين يقولون إن الوجود واحد. فالوجود الواجب للخالق هو الوجود الممكن للمخلوق، كما يقول ذلك أهل الوحدة كابن عربي وصاحبه القونوي[1] وابن سبعين، وابن الفارض صاحب القصيدة التائية «نظم السلوك» وعامر البوصيري السيواسي[2] الذي له قصيدة تناظر قصيدة ابن

١ـ هو محمد القونوي الصوفي، صاحب ابن العربي، له تفسير سورة الفاتحة في مجلد، وله مؤلفات أخرىٰ.

عاش نيفا وستين سنة ومات سنة ٦٧٢ هـ بقونوية وأوصىٰ أن ينقل تابوته إلىٰ دمشق يدفن عند الشيخ محي الدين ابن العربي شيخه فلم يتفق له.

قال الشعراني: «وكان مبتلىٰ بالإنكار عليه إلى أن مات رضي الله عنه؟!!».

قال كاتبه: ينكرون عليه ماذا؟! سوىٰ الأقوال والأفعال المخالفة للمنقول والمعقول؟!!

انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرىٰ» لعبد الوهاب الشعراني (١/٢٠٣).

٢ـ لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

الفارض، والتلمساني الذي شرح مواقف النفري [1] وله «شرح الأسماء الحسنىٰ» علىٰ طريقة هؤلاء، وسعيد الفرغاني[2] الذي شرح قصيدة ابن الفارض، والششتري صاحب الارحال الذي هو تلميذ ابن سبعين، وعبدالله البلباني وابن أبي منصور المصري[3] «صاحب فك الأزرار عن أعناق الأسرار» وأمثالهم.

ثم من هؤلاء من يُفرِّق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي، ويزعم أن الأعيان ثابتةٌ في العدم غنية عن الله في أنفسها! ووجود الحقِّ هو

١ـ النفري (في الأصل بالغين والتصويب من الطبقات) هو محمد بن عبدالجبار، كان من أهل القرن الرابع (قاله في الطبقات)، وقال الناشر: المتوفي سنة ٣٥٤ هـ .

قال الشعراني: «وكان له رضي الله تعالىٰ عنه! كلام عال في طريق القوم، وهو صاحب «المواقف» ونقل عنه الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله تعالىٰ عنه وغيره! وكان إماماً بارعاً في كل العلوم!!»

ثم ساق جملةً من كلامه في المواقف منها قوله: وكان يقول قلوب العارفين تخرج إلىٰ العلوم بسطوات الإدراك وذلك كفرها!! وهو الذي ينهاها الله عنه! وكان يقول: كأن الحق تعالىٰ يقول!!: إذا تعلَّق العارف بالمعرفة وادَّعىٰ أنه تعلق بي هرب من المعرفة كما هرب من النكرة!!».

وذكر عبارات من هذا الهذيان والتخليط! وما ندري ماذا يكون قوله «كأن الحق يقول» أهو من القرآن؟ أم من الوحي المباشر إليه؟!!

انظر «الطبقات الكبرىٰ» (١/٢٠١ـ٢٠٢).

(٢) (٣) لم أعثر له ولمن قبله ترجمة.

وجودها، والخالق مفتقر إلىٰ الأعيان في ظهور وجودها! وهي مفتقرة إليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده!

وقوله مُركَّب من قول من قال المعدوم شيء[1]

وقول من يقول: وجود المخلوق هو وجود الخالق!

ويقول: فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق! والوجود الخالق هو الوجود المخلوق! كما هو مبسوط في غير هذا الوضع.

وفيهم من يُفرِّق بين الإطلاق والتعيين، كما يقوله القونوي ونحوه، فيقولون: إن الواجب هو الموجودُ المطلق لا بشرط، وهذا لا يوجد مطلقا إلا في الأذهان، فما هو كلي في الأذهان لا يكون في الأعيان إلا معينا. وإن قيل: إن المطلق جزءٌ من المعنىٰ، لزم أن يكونَ وجودُ الخالق جزءاً من وجود المخلوقات! والجزء لا يُبْدعُ الجميع ويخلقه، فلا يكون الخالق موجوداً.

ومن قال: إنَّ الباري هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق كما يقوله ابن سينا[2] وأتباعه ـ فقوله أشد فسادا، فإنَّ المطلق بشرط الإطلاق لا يكون

---

(١)ـ الصواب أن العدم ليس بشيء، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]، وقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧].

وغيرهما من الآيات.

وانظر العقيدة الطحاوية (١/١١٨).

(٢) هو الفيلسوف الشهير أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن سينا، البلخي

ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق.

كان أبوه من دعاة الاسماعيلية!

ذكر عن نفسه أنه قرأ القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشرٌ، وأنه أحكم المنطق وكتاب إقليدس ثم قال: ورغبت في الطب، وبرَّزت فيه وقرؤوا علي وأنا مع ذلك اختلف إلىٰ الفقه وأناظر ولي ست عشرة سنة.

قال الذهبي في «السير»: قد سقت في «تاريخ الإسلام» أشياء اختصرها، وهو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمدلله علىٰ الإسلام والسنة.

وله كتاب «الشفاء» وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفَّره الغزالي في كتاب «المنقذ من الضلال»، وكفَّر الفارابي».

قال كاتبه: وقد تتبع سقطاته في رسالته «الأضحوية» وغيرها ورد عليه المصنف ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ في كتابه النفيس «درء تعارض العقل والنقل».

فقد قال في مقدمته (ص ٨ـ١١) ـ وهو بصدد البحث عن انحراف الفلاسفة ـ: «ولهؤلاء في نصوص الأنبياء طريقتان: طريقة التبديل، وطريقة التجهيل، أما أهل التبديل، فهو نوعان: أهل الوهم والتخييل، وأهل التحريف والتأويل، فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر، وعن الجنة والنار بل وعن الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه؟! لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله جسم عظيم؟! وأن الأبدان تُعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً، وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر!! لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ويتخيلون أن الأمر هكذا، وإنْ كان هذا كذباً!! فهو كذب لمصلحة الجمهور، إذ كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا =

إلا في الأذهان لا الأعيان، فقول هؤلاء بموافقة من هؤلاء الذين يلزمهم التعطيل شرٌّ من قول الذين يُشبِهون أهلَ الحلول.

وآخرون يجعلون الوجودَ الواجب والوجود الممكن بمنزلة المادة

= بهذه الطريق!!

وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم علىٰ هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره في رسالته «الأضحوية».

قال: ثم من هؤلاء مَنْ يقول: النبي كان يعلم الحق، ولكن أظهر خلافه للمصلحة! ومنهم من يقول: ما كان يعلم الحق كما يعلمه نُظَّار الفلاسفة وأمثالهم، وهؤلاء يُفضِّلون الفيلسوف الكامل علىٰ النبي!! ويفضِّلون الولي الكامل الذي له هذا المشهد علىٰ النبي!! كما يُفضِّل ابن عربي الطائي خاتم الأولياء ـ في زعمه ـ علىٰ الأنبياء! وكما يفضل الفارابي ومُبشِّر بن فاتك وغيرهما الفيلسوف علىٰ النبي!

وأما الذين يقولون: إن النبي كان يعلم ذلك، فقد يقولون: إن النبي أفضل من الفيلسوف، لأنه عَلِم ما علمه الفيلسوف وزيادة، وأمكنه أن يخاطب الجمهور بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف، وابن سينا وأمثاله من هؤلاء.

وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية، كالملاحدة الإسماعيلية، وأصحاب رسائل «إخوان الصفا» والفارابي وابن سينا والسهروردي المقتول وابن رشد الحفيد، وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة، كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة «حي بن يقظان» وخلقٌ كثير غير هؤلاء».

انظر ترجمته في: «ميزان الاعتدال» (١/ ٥٣٩)، «السير» (١٧/ ٥٣١)، «البداية» (١٢/ ٤٢-٤٣)، «لسان الميزان» (٢/ ٢٩١-٢٩٣).

والصورة، يقولها المتفلسفة أو قريب من ذلك، كما يقوله ابن سبعين وأمثاله.

وهؤلاء أقوالهم فيها تناقضٌ وفساد، وهي لا تخرج عن وحدة الوجود أو الحلول أو الاتحاد، وهم يقولون **بالحلول المطلق والوحدة المطلقة والاتحاد المطلق**، بخلاف من يقول بالمعنىٰ كالنصارىٰ والغالية من الشيعة الذين يقولون بالإلهية علي أو الحاكم أو الحلاج أو يونس القيني أو غير هؤلاء ممن ادُّعِيت فيه الإلهية، فإن هؤلاء قد يقولون **بالحلول المقيد الخاص**، وأولئك يقولون بالإطلاق والتعميم.

ولهذا يقولون: النصارىٰ إنما كان خطأهم للتخصيص!! وكذلك يقولون عن المشركين عبَّاد الأصنام إنما كان خطأهم لأنهم اقتصروا علىٰ عبادة بعض المظاهر دون بعض! وهم يجوِّزون الشركَ وعبادة الأصنام مطلقاً علىٰ وجه الإطلاق والعموم!!

ولا ريب أن في قول هؤلاء من الكفر والضلال ماهو أعظم من اليهود والنصارىٰ، وهذا المذهب كثير في كثير من المتأخرين، وكان طوائف من الجهمية يقولونه.

وكلام ابن عربي في «فصوص الحكم» وغيره[1] وكلام ابن سبعين وصاحبه الششتري وقصيدة ابن «الفارض نظم السلوك» وقصيدة عامر

١ـ قوله: «وكلام ابن عربي» مبتدأ خبره مع ما عطف عليه قوله بعد: «وهو مبني علىٰ هذا المذهب» (الناشر).

البصري وكلام العفيف التلمساني وعبدالله البلبالي[1] والصدر القونوي وكثير من شعر ابن اسرائيل[2] وما ينقله عن شيخه الحريري، وكذلك يوجد نحو منه في كلام كثير من الناس غير هؤلاء، وهو مبني على هذا المذهب: مذهب الحلول والاتحاد ووحة الوجود، وكثير من أهل السلوك الذين لا يعتقدون هذا المذهب يسمعون شعر ابن الفارض وغيره فلا يعرفون أن مقصوده هذا المذهب، **فإن هذا الباب وقع فيه من الاشتباه والضلال، ما حير كثير من الرجال.**

وأصل ضلال هؤلاء: أنهم لم يعرفوا مُبَاينة الله سبحانه للمخلوقات وعلوِّه عليها، وعلموا أنه موجود فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها، بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أنه الشمسُ نفسُها.

ولما ظهرت الجهمية المنكرة لمباينة الله وعلوه على خلقه افترق الناس في هذا الباب على أربعة أقوال:

فالسلف والأئمة يقولون: إن الله فوق سماواته على عرشه بائنٌ من خلقه [3]كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. وكما عُلِم

١ـ قال فيما تقدم: عامر البوصيري السيواسي.

. . . وعبدالله البلباني.

فالذي يظهر أنه قد وقع تحريف في أحد الموضعين.

(٢)ـ في الأصل: من شعر اسرائيل ابن. . . ، وهو خطأ.

(٣)ـ هذه الكلمة المأثورة بالروايات الصحيحة المسندة إلى أئمة السلف، قد جمعت في صفات الله تعالى بين قَبول نصوص الكتاب والسنة، وبين التنزيه المطلق الذي =

العلو والمباينة بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله علىٰ ذلك خلقه في إقرارهم به، وقصدهم إياه سبحانه وتعالىٰ.

والقول الثاني: قول مُعطِّلةِ الجهمية ونُفاتهم وهم الذين يقولون: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا مُباين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجودٌ عن أحدهما!! كما يقول ذلك أكثر المعتزلة ومن وافقهم من غيرهم.

والقول الثالث: قول حُلُولِية الجهمية الذين يقولون إنه بذاته في كل مكان! كما تقول ذلك النجارية أتباع حسين النجار وغيرهم من الجهمية،

= أراده الجهمية والمعتزلة وبعض نظار الأشعرية، بتأويل النصوص بالتحكم و التكلّف المؤدي إلىٰ تعطيلها وجعلها كاللَّغو حتىٰ لا يذكرونها في عقائدهم، ويسمونَ مَنْ يذكرها علىٰ إطلاقها مُشَبِّهاً.

فمباينة الله تعالىٰ لخلقه أبلغ ما يقال في تنزيه عن مشابهتهم في شأنٍ ما مِنْ شؤون الرُّبوبية والأُلوهية، أو مشابهته لهم في شأنٍ ما من شؤون المخلوقين، فَعُلوُّه تعالىٰ علىٰ خلقه واستواؤه علىٰ عرشه فوق جميع سماواته لا يقتضي مع ما ذُكر مِنَ المباينة أنْ يكون محصوراً أو محدوداً أو متحيزاً، إنما علوه سبحانه علو مُباينة لها، لا كعلو بعضها علىٰ بعض، فإن هذا أمرٌ إضافي لا حقيقة له في نفسه، يعترف بهذا جميع الفلاسفة وعلماء المعقول في كل زمان. (الناشر).

وقد بسط القول في هذه المسألة أبو عبدالله الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار» وقام باختصار الكتاب وتحقيقه العلامة الألباني حفظه الله تعالىٰ، وانظر الكلام عليها بشيء من التفصيل في كتابي «النهج الأسمىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ» في آثار أسمائه «العلي ـ الأعلىٰ ـ المتعال» والحمدلله.

وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء، فإن الحلول أغلب علىٰ عُبَّاد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم، والنفي والتعطيل أغلب علىٰ نُظَّارهم ومتكلميهم، كما قيل: **متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء**، وذلك لأن العبادة تتضمن: القصدَ والطلب والإرادة والمحبة، وهذا لا يتعلق بمعدوم، فإن القلب يَتَطَلَّبُ موجوداً، فإذا لم يطلب ما فوق العالم طلب ما هو فيه!

وأما الكلام والعلم والنظر فيتعلق بموجود ومعدوم، فإذا كان أهلُ الكلام والنظر يصفون الربَّ بصفات السَّلب والنفي التي لا يوصف بها إلا المعدوم لم يكن مجرد العلم والكلام ينافي عدم المعلوم المذكور بخلاف القصد والإرادة والعبادة فإنه ينافي عدم المعبود.

ولهذا تجد الواحدَ من هؤلاء عند نظره وبحثه يميل إلىٰ النفي، وعند عبادته وتصوفه يميل إلىٰ الحلول، وإذا قيل: هذا ينافي ذلك! قال: ذاك مُقتضىٰ عقلي ونظري، وهذا مقتضىٰ ذوقي ومعرفتي؟! ومعلوم أن الذوق والوجد إن لم يكن موافقاً للعقل والنظر وإلا لزم فسادهما أو فساد أحدهما!

والقول الرابع: قول من يقول إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان!

وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ[1] وأمثاله.

١ـ هو أبو معاذ التُّوْمَنِيّ، رأس الطائفة المعروفة بالتُّومنية، وهم فرقة من المرجئة زعموا أن الإيمان ما عَصَم من الكفر، وهو اسم لخصال إذا تركها التارك أو ترك خصلةً منها كان كافراً، فتلك الخصال التي يكفر بتركها أو تركِ خصلةٍ منها: إيمان، =

وقد ذكر الأشعري في «المقالات» هذا عن طوائف[1]، ويوجد في كلام السالمية كأبي طالب المكي[2] . . . .

= ولا يقال للخصلة منها: إيمان ولا بعض إيمان؟! وكل كبيرة لم يُجمع المسلمون علىٰ أنها كفر يقال لصاحبها: فَسَقَ، ولا يقال له: فاسق علىٰ الإطلاق.

انظر أقواله في «مقالات الإسلاميين» (ص ١٣٩-١٤٠، ١٥١، ٣٠٠، ٣٦٦، ٥٤١، ٥٨٣، ٥٩٣) ط ريتر والأنساب للسمعاني (٤٩٣/١)

والفرق بين الفرق (ص٢٠٣-٢٠٤)، والملل والنحل (١٢٨/١).

١- وهو قول أصحاب «زهير الأثري».

قال أبو الحسن الأشعري في «المقالات» (ص٢٩٩) بعد أن ذكر قول «ابن كُلَّاب»: فأما أصحاب «زهير الأثري» فإن زهيراً كان يقول: إن الله سبحانه بكلٍّ مكان، وإنه مع ذلك مستوٍ علىٰ عرشه، وإنه يُرىٰ بالأبصار بلا كيف، وإنه موجود الذات بكل مكان، وإنه ليس بجسم ولا محدود، ولا يجوز عليه الحلول والمماسة . . »

وذكر باقي معتقده، وانظر (ص٢١٥).

وانظر أقوال الفرق في هذه المسألة (ص٢١٠-٢١١) من الكتاب نفسه.

٢- هو محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي الواعظ المذكر، الزاهد المتعبد، صاحب «قوت القلوب»، سمع الحديث وروي عن غير واحد.

قال العتيقي: كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة، وصنف كتاباً سمَّاه «قوت القلوب» وذكر فيه أحاديث لا أصل لها، وكان يعظ الناس في جامع بغداد.

وقال الخطيب عن كتابه: ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات.

. . . . وأتباعه مثل أبي الحكم ابن بَرَّجان[1] وأمثاله ما يشير إلىٰ نحو من هذا كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا.

وفي الجملة فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من مستأخري الصوفية، ولهذا كان أئمة القوم يُحذِّرون منه، كما في قول الجنيد لما سُئِل عن التوحيد فقال: التوحيد إفراد المُحْدَث عن القِدَم.

= وحكي ابن الجوزي أنه دخل بغداد فاجتمع عليه الناس، وعُقد له مجلس الوعظ بها، فغلط في كلام وحُفظ عنه أنه قال: ليس علىٰ المخلوقين أضر من الخالق؟! فبدَّعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام علىٰ الناس.

وقد كان أبو طالب هذا يُبيح السماع!

توفي سنة ٣٨٦ هـ .

انظر ترجمته: «تاريخ بغداد» (٣/ ٨٩)، «البداية» (١١/ ٣١٩-٣٢٠).

(١) - هو عبد السلام بن عبدالرحمن بن أبي الرجال أبو الحكم اللخمي الأفريقي الصوفي، المعروف بابن بَرَّجان، روىٰ عن ابن منظور وروىٰ عنه عبدالحقِّ الإشبيلي.

قال ابن الأبار: كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام! والتصوف مع الزهد والعبادة.

وله تواليف منها: «تفسير القرآن» لم يكمل و«وشرح الأسماء الحسنىٰ».

مات سنة ٥٣٦ هـ .

ترجمته في: «لسان الميزان» (٤/ ١٣-١٤) «فوات الوفيات» لابن شاكر (١/ ٥٦٩-٥٧٠).

فبين أن التوحيد أن تُميِّز بين القديم والمحدث.

وقد أنكر عليه ذلك ابن عربي صاحب الفصوص وادعىٰ أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد!! لما أثبتوا الفرق بين العبد والرب، بناء علىٰ دعواه: أن التوحيد ليس فيه فرق بين الربِّ والعبد؟! وزعم أنه لا يُميِّز بين القديم والمحدث ألا من يكون ليس بقديم ولا محدث.

وهذا جهل، فإن المعرفة بأن هذا ليس ذاك والتمييز بين هذا وذاك، لا يقتضي أن يكون العارفُ المميزُ بين الشيئين ليس هو أحد الشيئين، بل الإنسان يعلم أنه ليس هو ذاك الإنسان الآخر مع أنه أحدهما، فكيف لا يعلم أنه غيرُ ربِّه وإن كان هو أحدهما[1].

---

(١)ـ قارن بـ «درء تعارض العقل النقل» (١٠/ ٢٨٦ـ٢٨٨)، ومجموع الفتاوي (٨/ ٣١٧ـ٣١٨).

الأصل الثاني

الاحتجاج بالقَدَر علىٰ المعاصي علىٰ ترك المأمور[1] وفعل المحظور، فإن القدر يجب الايمان به ولا يجوز الاحتجاج به علىٰ مخالفة أمر الله ونهية ووعده ووعيده.

والناس الذين ضلوا في القدر ثلاثة أصناف:

قوم آمنوا بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، وكذبوا بالقدر وزعموا أن من الحوادث مالا يخلقه الله! كالمعتزلة ونحوهم.

وقوم آمنوا بالقضاء والقدر، ووافقوا أهل السنة والجماعة على: أنه ما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن، وأن الله خالقُ كل شيء وربِّه ومليكه، لكن عارضوا بهذا الأمر والنهي، وسمَّوا هذا حقيقة، وجعلوا ذلك معارضا للشريعة، وفيهم من يقول: إن مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب! وإن العارف يستوي عنده هذا وهذا!

وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد، فإنهم لا يسوون بين مَنْ أحسنَ إليهم وبين من ظلمهم، ولا يسوون بين العالم والجاهل والقادر والعاجز، ولا بين الطيب والخبيث، ولا بين العادل والظالم بل يُفرِّقون بينهما.

١- في الأصل: علىٰ المعاصي علىٰ المأمور!
وأشار إلىٰ ذلك الناشر.

ويفرقون أيضاً بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الأمر والنهي، فلا يقفون لا مع القدر ولا مع الأمر، بل كما قال بعض العلماء: أنت عند الطاعة قَدَري، وعند المعصية جبري،[1] أي مذهب وافق مذهبك تمذهبت به، فلا يوجد أحد بالفلك[2] في ترك الواجب وفعل المحرم ألا وهو متناقض، لا يجعله حجة في مخالفة هواه بل يُعادي من آذاه، وإن كان محقا، ويُحِبُّ من وافقه علىٰ غرضه وإن كان عدواً لله، فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده، لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته وبغضه وولايته وعداوته، إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد، فإن ذلك مُستلزمٌ للفساد الذي لا صلاحَ معه، وللشرِّ الذي لا خير فيه.

إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عُوقب مُعتدٍ، ولا اقتصَّ من باغ، ولا أُخِذ لمظلوم من ظالم، ولفعل كل أحد ما يشتهيه، من غير معارض يعارضه فيه، وهذا فيه من الفساد، مالا يعلمه إلا ربُّ العباد.

فمن المعلوم بالضرورة أن الأفعال تنقسم إلىٰ ينفع العباد وما يضرهم، والله قد بعث رسوله ﷺ يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويُحلُّ لهم الطيبات ويُحرِّم عليهم الخبائث، فمن لم يتبع شرع الله ودينه اتبع ضده من البدع والأهواء، وكان احتجاجه بالقَدَر من الجدل بالباطل

١ـ أي عند قيامه بالطاعات والقربات يقول: هي من فعلي وعملي، وإذا وقع في المعاصي و المخالفات قال: هي من تقدير الله علي ولا عمل لي فيها!!

٢ـ كذا بالأصل!

وقد نبه عليه الناشر.

لِيُدْحِضَ به الحق لا من باب الاعتماد عليه، [و] لزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير، من أهل المعاذير.

وإن قال: أنا أعذر بالقدر مَنْ شَهِده وعلم أن الله خالقُ فعله ومحرِّكه، لا من غاب عن المشهود؛ أو كان أهل الجحود.

قيل فيقال لك: وشهود هذا وجحود هذا من القدر، فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا، فإن كان مُوجباً للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محموداً وبعضهم مذموماً مع شمول القدر لهما، وهذا رجوعٌ إلى الفرق، واعتصامٌ بالأمر والنهي، وحينئذ فقد نَقَضَتْ أصلك وتناقضت فيه، وهذا لازمٌ لكلٍّ من معك فيه.

ثم مع فساد هذا الأصل وتناقضه؛ فهو قول باطل وبدعة مضلة.

فمن جعل الأيمان بالقدر وشهوده عُذراً في ترك الواجبات، وفعل المحظورات [1] بل الإيمان بالقدر حسنة من الحسنات، وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات، فلو أشركَ مشركٌ بالله وكذَّب رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم ناظراً إلى أن ذلك مُقَدَّرٌ عليه، لم يكن ذلك غافراً لتكذيبه، ولا مانعاً من تعذيبه، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، سواء كان المشرك مُقِرًّا بالقدر وناظراً إليه، أو مُكذباً به أو غافلاً عنه، بل قد قال

١ـ سقط من هنا جواب: فمن جعل ـ والمعنىٰ من جعل الإيمان بالقدر عُذراً لمن عصىٰ الله واشرك به ـ لزمه كون هذا الإيمان منكراً من المنكرات وضلالة من الضلالات؛ وليس الأمر كذلك ـ بل الإيمان بالقدر حسنة من الحسنات الخ. (الناشر)

إبليس: ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩] فأصر واحتج بالقدر، فكان ذلك زيادة في كفره، وسببا لمزيد عذابه.

وأما آدم عليه السلام فإنه قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] قال تعالىٰ: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧]. فمن استغفر وتاب كان آدمياً سعيداً، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليساً شقياً، وقد قال تعالىٰ لإبليس: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٥].

وهذا الموضع ضَلَّ فيه كثيرٌ من الخائضين في الحقائق، فإنهم يسلكون أنواعاً من الحقائق التي يجدونها ويذوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الأمر، فيضاهون المشركين الذين كانوا يبتدعون ديناً لم يشرعه الله ويحتجون بالقدر علىٰ مخالفة أمر الله؟!

والصنف الثالث من الضالين في القدر من خاصم الرب في جمعه بين القضاء والقدر، والأمر والنهي، كما يَذكر ذلك علىٰ لسان إبليس، وهؤلاء خصماء الله وأعداؤه.

وأما أهلُ الإيمان فيؤمنون بالقضاء والقدر، والأمر والنهي، ويفعلون المأمور، ويتركون المحظور، ويصبرون علىٰ المقدور، كما قال تعالىٰ: ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فالتقوىٰ تتناول: فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر يتضمن الصبر علىٰ المقدور، وهؤلاء إذا أصابتهم مصيبةٌ في الأرض أو في أنفسهم، علموا أن ذلك في

كتاب، وأن ما أصابهم لم يكن ليُخْطئهم، وما أخطَأَهم لم يكن ليصيبهم، فسلَّموا الأمر لله وصبروا علىٰ ما ابتلاهم به.

وأما إذا جاء أمرُ الله فإنهم يسارعون في الخيرات، ويسابقون إلىٰ الطاعات، ويَدْعون ربهم رَغَباً ورهباً، ويجتنبون محارمه، ويحفظون حدوده، ويستغفرون الله ويتوبون إليه من تقصيرهم فيما أَمَر، وتعديهم لحدوده، علماً منهم **بأن التوبة فرض علىٰ العبد دائماً**، واقتداءً بنبيهم حيث يقول في الحديث الصحيح **«أيها النَّاسُ تُوبُوا إلىٰ ربِّكم، فو الذي نَفْسي بيده إني لَأَسْتَغْفِرُ الله وأتوبُ إليه أكثر مِنْ سَبعينَ مرَّة»**.[1]

١ـ قد جاء الحديث بألفاظ مقاربة لما ذكره المصنف:

فقد أخرج مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤/ ٢٠٧٥ـ٢٠٧٦) عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائةَ مرة»**.

وأخرج عن الأغر المزني أن رسول الله ﷺ قال: **«إنه لَيُغَانُ علىٰ قلبي، وإني لاستغفر الله في اليوم مائةَ مرة»**.

وأخرج البخاري في الدعوات (١١/ ١٠١) عن أبي هريرة مرفوعاً: **«والله إني لاستغفر الله وأتوبُ إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»**.

وأخرج النسائي في: «عمل اليوم والليلة» (٤٣١) عنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ جمع الناس فقال: **«يا أيها الناس توبوا إلىٰ الله، فإني أتوب إلىٰ الله في اليوم مائة مرة»**.

وأخرج عن أنس نحو حديثه أبي هريرة عن البخاري (٤٣٣).

قال الحافظ في الفتح (١١/ ١٠١): فيحتمل أن يريد (أي الراوي) المبالغة ويحتمل

وآخرُ سورةٍ نزلت عليه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [سورة النصر].[1]

وإذا عُرِف هذان الأصلان فعليهما يبنىٰ جواب ما في هذا السؤال من الكلمات، ويُعرف ما دخل في هذه الأمور من الضلالات!

[بدء الجواب عن كلمات أهل الوحدة]:

فقول القائل «إن الله لطف ذاته فسماها حقا، وكثفها فسماها خلقاً» هو من أقوال أهل الوحدة والحلول والاتحاد، وهو باطل، فإن اللطيف إن كان هو الكثيفُ فالحقُّ هو الخَلْق، ولا تلطيف ولا تكثيف.

وإن كان اللطيفُ غير الكثيفِ، فقد ثبت الفرقُ بين الحقِّ والخلق، وهذا هو الحق، وحينئذ فالحقُّ لا يكون خَلْقاً، فلا يتصور أن ذات الحق

= أن يريد العدد بعينه.

وللحديث طرق أخرىٰ وألفاظ انظر: مسند أحمد (٢/٤٥) (٤/٢٦٠) (٥/٣٩٤، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠٢) والترمذي في التفسير (٥/٣٨٣) والنسائي في «عمل اليوم» (٤٣٤-٤٤٧) وابن ماجه (٢/١٢٥٣-١٢٥٤).

١- في صحيح مسلم (٤/٢٣١٨) عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخِرَ سورةٍ نزلت من القرآن، نزلت جميعاً؟ قلت: نعم، ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، قال: صدقت.

وفي رواية: تَعْلَمُ أي سورة، ولم يقل: آخر.

يكون خلقاً بوجه من الوجوه[1] كما أن ذات المخلوقِ لا تكون ذات الخالق بوجهٍ من الوجوه!

وكذلك قول الآخر «ظهر فيها حقيقة واحتجب عنها مجازاً» فإنه إن كان الظاهر غير المظاهر، فقد ثبت الفرق بين الرب والعبد، وإن لم يكن أحدهما غير الآخر، فلا يتصور ظهور واحتجاب!

ثم قوله «فمن كان من أهل الحقِّ شَهِدها مظاهر ومَجَالي، ومن كان من أهل الفرق شهدها سُتُوراً وحُجُباً» كلامٌ ينقض بعضه بعضاً، فإنه إن كان الوجود واحداً لم يكون أحد الشاهدين عين الآخر، ولم يكن الشاهد عين المشهود.

ولهذا قال بعض شيوخ هؤلاء: من قال إنَّ في الكون سوى الله فقد كذب! فقال له آخر: فمن الذي يكذب، فأفحمه.

وهذا لأنه إذا لم يكن موجودٌ سوى الواجب بنفسه كان (هو) الذي يكذب ويظلم ويأكل ويشرب؟!

وهكذا يُصرِّح به أئمة هؤلاء كما يقول صاحب «الفصوص» وغيره، إنه موصوف بجميع صفات الذم؟! وإنه هو الذي يَمرض ويُضرب وتصيبه الآفات ويوصف بالمصائب والنقائص؟![2] كما إنه هو الذي يوصف بنعوت

١- في الأصل: من الوجود! وهو خطأ.

٢- تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً!!
ونعوذ بالله من الخِذلان، ومن الكفر بعد الإيمان.

المدح والذم، قال: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الصفات الثبوتية والسلبية سواء كانت محمودة عقلاً وعرفاً وشرعاً، أو مذمومة عقلاً وعُرفاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمىٰ الله خاصة.

وقال: ألا ترىٰ الحقَّ يظهر بصفات المحدثات وقد أخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص وبصفات الذم، ألا ترىٰ المخلوق يَظهر بصفات الخالق، فكلها حقٌّ له، كما أن صفات المخلوق حق للخالق!

وقول القائل:

لقد حُقَّ لي عشقَ الوجود وأهله

يقتضي أن يعشق إبليس وفرعون وهامان وكلَّ كافر؟!

ويعشق الكلاب والخنازير والبول والعذرة وكل خبيث؟! مع أنه باطل شرعاً وعقلاً، فهو كاذب في ذلك متناقض فيه، فإنه لو آذاه مؤذٍ وآلمه ألماً شديداً [امتنع أن يعشقه طبعاً، وفِعْلُ مَنْ لا يغضب إذا عُصي الله](1) محرم شرعاً.

وما ذكر عن بعضهم من قوله: «عَيْنُ ما تَرَىٰ ذاتٌ لا تُرىٰ، وذات لا ترىٰ عينُ ما تَرىٰ» هو كلام ابن سبعين وهو من أكابر أهل الإلحاد، أهل الشرك والسحر والإتحاد، وكان من أفاضلهم وأذكيائهم وأخبرهم بالفلسفة وتصوف المتفلسفة.

١- في الأصل: وآلمه ألماً شديداً لا يغضب محرم شرعاً!
ولعل الصواب ما أثبتناه، وقد أشار إليه الناشر.

وقول ابن عربي: «ظاهِرُهُ خَلْقُه، وباطِنُه حَقُّه» هو قول أهل الحلول، وهو متناقض في ذلك، فإنه يقول بالوَحدة فلا يكون هناك موجودان: أحدهما باطن والآخر ظاهر! والتفريق بين الوجود والعين، تفريق لا حقيقة له، بل هو من أقوال أهل الكذب والمين!

وقول ابن سبعين: «ربٌّ مالِك، وعبدٌ هَالِك[1]، وأنتم ذلك، الله فقط والكثرة وهم» موافقٌ لأصله الفاسد في أن وجود المخلوق وجود الخالق! ولهذا قال: «وأنتم ذلك» فإنه جعل العبد هالكاً أي لا وجود له فلم يبق إلا وجود الرب، فقال «وأنتم ذلك»، وكذلك قال: «الله فقط والكثرة وهم» فإنه علىٰ قوله: لا موجود إلا الله.

ولهذا كان يقول هو وأصحابه في ذكرهم: ليس إلا الله! بدل قول المسلمين: لا إله إلا الله، وكان يسميهم الشيخ قطب الدين ابن القسطلاني[2] «الليسية» ويقول: احذروا هؤلاء «الليسية».

---

(١)- في الأصل: رب هالك، وعبد مالك!
والتصويب مما ذُكر في أول الرسالة، ومن شرح الكلام.

(٢)- هو محمد بن أحمد بن علي، قطب الدين أبو بكر المصري ثم المالكي الشافعي المعروف بالقسطلاني، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة.

ولد سنة أربع عشرة وستمائة، ورحل إلىٰ بغداد فسمع الكثير وحصل علوماً، وكان يفتي علىٰ مذهب الشافعي، وأقام بمكة مدة طويلة، ثم صار إلىٰ مصر فولىٰ مشيخة دار الحديث، وكان حسن الأخلاق محبباً إلىٰ الناس.

توفي في سنة ست وثمانين وستمائة. ترجمته في: البداية (١٣/ ٣١٠).

ولهذا قال: «الكثرة وهم» وهذا تناقض! فإن قوله «وهم» يقتضي مُتوهَّماً، فإن كان المتوهَّمُ هو الوَهم فيكون الله هو الوهم! وإن كان المتوهَّم هو غير الوهم فقد تعدَّد الوجود.

وكذلك: إن كان المتوهَّم هو الله، فقد وصف الله بالوهم الباطل، وهذا مع أنه كفر، فإنه يناقض قوله «الوجود واحد»! وإن كان المتوهم غيره، فقد أثبت غير الله، وهذا يناقض أصله! ثم متىٰ أثبت غيراً لزمت الكثرة، فلا تكون الكثرة وهماً، بل تكون حقاً!

والبيتـان المـذكوران عن ابن عربي مع تناقضهما، مبنيان علىٰ هذا الأصل، فإن قوله: يا صُورةَ إنْسٍ سرُّها معنائي.

خطاب علىٰ لسان الحق يقول لصورة الإنسان: يا صورة إنس سرها معنائي، أي هي الصورة وأنا معناها، وهذا يقتضي أن المعنىٰ غير الصورة، وهو يقتضي التعدد والتفريق بين المعنىٰ والصورة، فإن كان وجود المعنىٰ هو وجود الصورة كما يُصرِّح به فلا تعدُّد! وإن كان وجودُ هذا غيرَ وجود هذا، تَنَاقَض!

وقوله: ما خلقك[1] للأمر ترىٰ لولائي *

كلامٌ مجمل يمكن أن يراد به معنىٰ صحيح، أي لولا الخالق لما وُجد المكلفون، ولا خلق لأمر الله، لكن قد عُرِف أنه لا يقول بهذا، فإن مراده الوحدة والحلول والإتحاد.

---

(١) في أول الكتاب: ما خلقت...

ولهذا قال:

شئنـاك فَأَنْشَأْنَاك خَلْقاً بشراً
كي تَشْهَدَنا في أكملِ الأشياء

فبين أن العبيد يشهدونه في أكمل الأشياء، وهي: الصورة الانسانية!! وهذا يشير إلىٰ الحلول وهو حلول الحقِّ في الخلق، لكنه متناقضٌ في كلامه، فإنه لا يرضىٰ بالحلول، ولا يُثبت موجودين حَلَّ أحدهما في الآخر، بل عنده وجود الحال هو عينُ وجود المحل، لكنه يقول بالحلول بين الثبوت والوجود، فوجود الحقِّ حلَّ في ثبوت الممكنات، وثبوتها حل في وجوده، وهذا الكلام لا حقيقة له في نفس الأمر، فإنه لا فرق بين هذا وهذا، لكنه هو مذهبه المتناقض في نفسه!

وأما الرجل الذي طلب من والده الحج فأمره أن يطوف بنفس الأب؟! فقال: «طُفْ ببيتٍ ما فارقه اللّهُ طَرْفة عينٍ قط!» فهذا كفرٌ بإجماع المسلمين، فإن الطواف بالبيت العتيق مما أمر الله به ورسوله، وأما الطواف بالأنبياء والصالحين، فحرام بإجماع المسلمين، ومن اعتقد ذلك ديناً فهو كافر، سواء طاف ببدنه أو بقبره.

وقوله «ما فارقه الله طرفة عين قط» إن أراد به الحلولَ المطلق العام، فهو مع بطلانه متناقض! فإنه حينئذ لا فرق بين الطائف والمطُوف به، فلم يكن طواف هذا بهذا أولىٰ من العكس؟! بل هذا يستلزم أنه يُطاف بالكلاب والخنازير والكفار والنجاسات والأقذار وكل خبيث وكل ملعون؟! لأن الحلول والإتحاد العام يتناول هذا كله!

وقد قال مرة شيخهم الشيرازي لشيخه التلمساني وقد مر بكلبٍ أجرب ميت: هذا أيضاً من ذات الله؟!! فقال: وثَمَّ خارجٌ عنه؟!

ومر التلمساني ومعه شخص فاجتازا بكلب فَرَكَضَه الآخر برجله، فقال: لا تركضه فإنه منه؟![1]

وهذا مع أنه من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين، فإنه متناقض، فإن [كان][2] الراكضُ والمركوض واحدٌ، وكذلك الناهي والمنهي فليس شيء من ذلك أولىٰ بالأمر والنهي من شيء، ولا يعقل مع الوحدة تعدد، وإذا قيل: مَظَاهر ومجالي، قيل: إن كان لها وجودٌ غير وجود الظاهر المتجلي فقد ثبت التعدد وبطلت الوحدة، وإن كان وجود هذا هو وجود هذا لم يبق بين الظاهر والمظهر [والمجلي][3] والمتجلي فيه فرق.

وإن أراد بقوله: «ما فارقه الله طرفة عين» الحلول الخاص ـ كما تقول النصارىٰ في المسيح ـ لزم أن يكون هذا الحلول ثابتاً من حين خُلِق، كما تقوله النصارىٰ في المسيح، فلا يكون ذلك حاصلاً له بمعرفته وعبادته وتحقيقه وعرفانه، وحينئذٍ فلا يكون فرقٌ بينه وبين غيره من الآدميين، فلماذا يكون الحلول ثابتاً له دون غيره؟!

وهذا شر من قول النصارىٰ! فإن النصارىٰ ادَّعوا ذلك في المسيح لكونه خُلِق من غير أب، والشيوخ لم يُفَضَّلوا في نفس التخليق، وإنما فُضِّلوا

---

(١) ـ وهذا جارٍ علىٰ قولهم: إن كلَّ شيء من الربِّ والأله!!

(٢) ـ ليست من الأصل، لكن السياق يقتضيها، وقد أشار إليه الناشر.

(٣) ـ زيادة يقتضيها السياق.

بالعبادة والمعرفة والتحقيق والتوحيد، وهذا أمرٌ حصل لهم بعد أن لم يكن، فإذا كان هذا هو سبب الحلول، وجب أن يكون الحلول فيهم حادثاً لا مُقارناً لخلقهم، وحينئذ فقولهم: إن الربَّ ما فارق أبدانهم أو قلوبهم طرفة عين قط كلام باطل كيف ما قُدِّر!

وأما ما ذكر عن رابعة من قولها عن البيت: «إنه الصَّنمُ المعبود في الأرض» فهو كذب على رابعة: ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يُستتاب! فإن تاب وإلا قتل! وهو كذب فإن البيت لا يعبده المسلمون، ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه[1].

وكذلك ما نُقِل من قولها: «والله ما وَلِجه الله ولا خَلاَ منه» كلامٌ باطل عليها!! وعلىٰ مذهب الحلولية، لا فرق بين ذاك البيت وغيره في هذا المعنىٰ فلأي مزية يُطاف به ويصلىٰ إليه ويحج دون غيره من البيوت؟!

وقول القائل «ما ولج الله فيه» كلامٌ صحيح، وأما قوله «ما خلا منه» فإن أراد أن ذاته حَالَّةٌ فيه أو ما يشبه هذا المعنىٰ، فهو باطل! وهو مناقض لقوله «ما ولج فيه» وإن أراد به أن الاتحاد مُلازمٌ له، لم يتجدد له ولوج ولم يزل غير حالٍّ فيه، فهذا مع أنه كفرٌ وباطل، يوجب أن لا يكون للبيت مزية علىٰ غيره من البيوت إذ[2] الموجودات كلها عندهم كذلك.

---

(١)- وهـذه الفِرْية قديمة متجددة، لا نزال نسمعها من المستشرقين وأذنابهم، يصدون بها عن سبيل الله تعالىٰ، ويلبسون بها علىٰ جهلة المسلمين!

(٢)- في الأصل: إذا، وهو خطأ.

وأما البيتان المنسوبان إلىٰ الحلاَّج:

سُبحان مَنْ أظْهَرَ ناسُوتُه
سرُّ سناءِ لاهوتِه الثَّاقبِ
حتىٰ بَدَا في خَلْقه ظاهِرا
في صورة الآكلِ والشاربِ

فهذه قد تعين بها الحلول الخاص كما تقوله النصارىٰ في المسيح!! وكان أبو عبدالله ابن خفيف الشيرازي[1] قبل أن يطَّلع علىٰ حقيقة أمر الحلاج

١ـ هو محمد بن خفيف أبو عبدالله الضبي الفارسي الشيرازي، شيخ من مشايخ الصوفية، حدث عن الحسين المحاملي، وتفقَّه علىٰ أبي العباس بن سريج.

قال السلمي في طبقاته: أقام بشيراز، وأمه نيسابورية وهو اليوم شيخ المشايخ، وتاريخ الزمان، لم يبق للقوم أقدم منه ولا أتم حالا، صحب رويم بن أحد وابن عطاء ولقي الحلاج، وهو من أعلم المشايخ بعلوم الظاهر! متمسك بالكتاب والسنة، فقيه شافعي.

وقال أبو العباس الفَسَوي: صنَّف شيخنا ابن خفيف من الكتب ما لم يصنفه أحد، وانتفع به جماعة صاروا أئمة يُقتدىٰ بهم، وعمَّر حتىٰ عم نفعه البلدان.

قال الذهبي: قد كان هذا الشيخ قد جمع بين العلم والعمل، وعلو السند، والتمسك بالسنن، ومتع بطول العمر في الطاعة.

مات سنة ٣٧١ هـ.

ترجمته في: «السير» (١٦/٣٤٢ـ٣٤٧)، «البداية» (١١/٢٩٩).

يَذُبُّ عنه، فلما أنشد هذين البيتين قال: لعن اللهُ من قال هذا.[1]

وقوله:

عَقَدَ الخلائِقُ في الإله عَقَائدا
وأنا اعتقدتُ جميعَ ما اعتقدوه

فهذا البيت يُعْرف لابن عربي، فإن كان قد سبقه إليه الحلاج وقد تمثَّل هو به فأضافته إلىٰ الحلاج صحيحة، وهو كلامٌ متناقض، فإن الجمع بين النقيضين في الاعتقاد في غاية الفساد، والقضيتان المتناقضتان بالسلب والإيجاب علىٰ وجه يلزمُ من صدق إحداهما كذب الأخرىٰ، لا يمكن الجمع بينهما، وهؤلاء يزعمون أنه يَثبتُ عندهم في الكشف ما يناقضُ صريحَ العقل، وأنهم يقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضِّدين، وأن مَن سلك طريقهم يقول بمخالفة المعقول والمنقول، ولا ريب أن هذا من أفسد ما ذهب إليه أهل السَّفسطة.[2]

---

(١)ـ انظر ترجمة الحلاج من «السير» (١٤/ ٣٢٥).

(٢)ـ السَّفْسَطة: اسم للمهنة التي بها يقدر الإنسان علىٰ المغالطة والتمويه، والتلبيس بالقول والإيهام.

انظر «إحصاء العلوم» للفارابي (ص٢٤) والتعريفات للجرجاني (ص١١٨-١١٩).

وعرَّف ابن قدامة في كتابه «ذم الموسوسين» «السوفسطائية» بأنهم: الذين ينكرون حقائق الموجودات، والأمور المحسوسات.

ومعلوم أن الأنبياء عليهم السلام أعظم من الأولياء، **والأنبياء جاؤا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم** يخبرون بمُحَـارات العقول، لا بمُحَالات العقول[1]، وهؤلاء الملاحدة يدَّعُون أنَّ مُحالات العقول صحيحة، وأنَّ الجمع بين النقيضين صحيح!! وأنَّ ما خالف صريح المعقول وصحيح المنقول صحيح!!

ولا ريبَ أنهم أصحابُ خيالٍ وأوهام يتخيلون في نفوسهم أُموراً يتخيلونها ويتوهمونها فيظنونها ثابتةً في الخارج، وإنما هي من خيالاتهم، والخيال الباطل يُتَصَوَّرُ فيه مالا حقيقَة له، ولهذا يقولون: «أرضُ الحقيقةِ هي أرضُ الخيال» كما يقول ذلك ابن عربي وغيره، ولهذا يحكون حكاية ذكرها سعيد الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض وكان من شيوخهم.

وأما قوله:

بيـني وبـيـنـك إنيُّ تُزَاحِمُـني
فارْفَـع بحـقِّـكَ إنِّي مِنَ الـبـين

فإنَّ هذا الكلامُ يُفَسَّرُ بمعانٍ ثلاثة يقوله الزنديق، ويقوله الصديق،

١- أي أنهم أخبروا بما تحتار فيه العقول كبعث الأجساد وما يحدث في الحشر من قرب الشمس من العباد، وتفاوت الناس في العرق مع أنهم في مكان واحد مستوي، وإمشاء بعض الناس علىٰ وجوههم، وهو خلاف ما جرت به العادة في الدنيا، وقعود الميت في قبره، وما شابه ذلك.

فكل ما سبق ليس بالأمر المستحيل علىٰ الله تعالىٰ وقدرته، لكن العقول تحتار في وقوعه وكيفيته.

فالأول مُراده به رفع ثبوت إنِّيته حتىٰ يقال: إنَّ وجودَه هو وجودُ الحقِّ، وإنيته هي إنيةُ الحقِّ، فلا يقال إنه غيرُ اللّهِ ولا سوىٰ.

ولهذا قال سلفُ هؤلاء الملاحدة: إن الحلاَّجَ نصفُ رجل! وذلك أنه لم ترفع له الإنية بالمعنىٰ، فرفعت له صورة فقيل.

وهذا القول مع ما فيه من الكفر والإلحاد، فهو متناقضٌ ينقضُ بعضه بعضا، فإنَّ قوله «بيني وبينك إني تزاحمني» خطابٌ لغيره وإثباتُ إنية بينه وبين ربِّه، وهذه إثباتُ أمورٍ ثلاثة، وكذلك يقول «فارفع بحقك إنيٍّ من البين» طلبٌ مِنْ غيره أنْ يرفع إنيته، وهذا إثباتُ لأمورٍ ثلاثة.

وهذا المعنىٰ الباطل هو **الفناءُ الفاسد** وهو الفناءُ عن وجود السِّوى، فإن هذا فيه طلبُ رفع الإنية وهو طلب الفناء.

والفناء ثلاثة أقسام: فناءٌ عن وجود السِّوى، وفناءٌ عن شُهود السِّوى وفناءٌ عن عبادة السوى **فالأول**: هو فناء أهل الوحدة الملاحدة، كما فَسَّروا به كلام الحلاج، وهو أنْ يجعلَ الوجود وجوداً واحداً.

وأما الثاني: وهو الفناء عن شهود السوىٰ، فهذا هو الذي يَعْرِضُ لكثيرٍ من السالكين، كما يُحكي عن أبي يزيد[1] وأمثاله، وهو مقام

١ـ هو طَيْفُور بن عيسى البسطامي أبو يزيد، أحد مشايخ الصوفية، كان جده مجوسيا فأسلم.

قال ابن خلكان: وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة.

قيل له: بأي شيءٍ وصلت إلىٰ المعرفة؟ فقال: ببطن جائع وبدن عار!!

«الإِصْـطِلام»[1] وهو: أنْ يغيبَ بموجودِه عن وُجوده، وبمعبُوده عن عبادته، وبمشهودِه عن شَهادته، وبمذكُورِه عن ذِكْره، فيظن مَنْ لم يكن، ويبقىٰ مَنْ لم يزل.

وهذا كما يُحكىٰ أنَّ رجلاً كان يُحب آخر، فألقىٰ المحبوب نفسه في الماء

= وكان يقول: دعوت نفسي إلىٰ طاعة الله فلم تجبني فمنعتها الماء سنة!

قال الذهبي: بعد أن ساق له بعض الأقوال: وله هكذا نُكت مليحة، وجاء عنه أشياء مشكلة لا مساغ لها، الشأن في ثبوتها عنه، أو أنه قالها في حال الدهشة والسُّكر، والغيبة والمحو، فيطوىٰ ولا يحتج بها، إذْ ظاهرها الإلحاد، مثل: سبحاني! وما في الجبة إلا الله!

ما النار؟ لأستندنَّ إليه غداً وأقول: اجعلني فداءً لأهلها وإلا بلعتها؟! ما الجنة؟ لعبة صبيان ومرادُ أهل الدنيا! ما المحدثون إن خاطبهم رجل عن رجل، فقد خاطبنا القلب عن الرب!

وقال ابن كثير: وقد حُكي عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية وحملوها علىٰ محامل بعيدة، وقد قال بعضهم: إنه قال ذلك في حال الاصطلام والغيبة، ومن العلماء من بدَّعة وخطَّأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدل علىٰ اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته، والله أعلم.

مات سنة ٢٦١ هـ.

ترجمته في: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٠/٣٣-٤٢)، «السير» (١٣/٨٦-٨٩)، البداية (١١/٣٥).

١- وهو لغة من: الصَّلْم وهو القطع، أو قطع الأذن، واصْطَلمه أي استأصله. (القاموس).

فألقىٰ المحب نفسه خلفه، فقال: أنا وقعتُ فلم وقعتَ أنت؟ فقال: غبتُ بكَ عني، فظننت أنك إني!!

فهذا حالُ مَنْ عجز عن شيءٍ من المخلوقات إذا شهد قلبه وجود الخالق، وهو أمرٌ يَعرِضُ لطائفةٍ من السالكين.

ومن الناس من يجعل هذا مِنَ السلوك، ومنهم مَنْ يجعله غايةَ السلوك حتىٰ يجعلوا الغايةَ هو الفناءُ في توحيد الربوبية، فلا يُفرِّقون بين المأمور والمحظور، والمحبوب والمكروه، وهذا غلطٌ عظيم غلطوا فيه بشهود القدر، وأحكام الربوبية، عن شهود الشرع والأمر والنهي وعبادة الله وحده وطاعة رسوله، فمن طَلَبَ رَفْعُ إنيته بهذا الإعتبار لم يكن محموداً علىٰ هذا، ولكنْ قد يكون معذوراً.

وأما النوع الثالث: وهو الفناءُ عن عبادة السِّوى، فهذا حال النبيِّين وأتباعهم، وهو أنْ يَفْنَىٰ بعبادةِ الله عن عبادة ما سِواه، وبحبِّه عن حبِّ ما سواه، وبخشيته عن خَشية ما سواه، وبالتَّوكل عليه عن التوكل علىٰ ما سواه، فهذا تحقيقُ توحيدِ اللّهِ وحده لا شريك له، وهو الحنيفيةُ ملَّةُ إبراهيم.

ويدخل في هذا أن يفنىٰ عن اتباع هواه بطاعة الله، فلا يُحب إلا الله، ولا يُبغض إلا لله، ولا يُعطىٰ إلا لله، ولا يَمنع إلا لله.

فهذا هو الفناء الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

ومَنْ قال «فارْفَع بحقِّك إنِّي مِنَ البَيْنْ» بمعنىٰ أن يَرْفَعَ هوىٰ نَفْسِه فلا يتَّبع هواه ولا يتوكل علىٰ نفسه وحوله وقوته بل يكون عمله لله لا

لهواه، وعمله باللّٰهِ وبقوته لا بحوله وقوته، كما قال تعالىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فهذا حَقٌّ محمود.

وهذا كما يُحكىٰ عن أبي يزيد أنه قال: رأيتُ ربَّ العزَّة في المنام فقلت: خُدايي[1] كيف الطريق إليك؟ قال: أتْرُكْ نَفْسَكَ وتعال، أي اترك اتباع هَواكَ والاعتماد علىٰ نفسك، فيكون عملك لله واستعانتك بالله، كما قال: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

والقول المحكي عن ابن عربي «وبي حَلَفْتُ وإنَّ الْمُقْسِمَ اللّٰهُ» هو أيضا من إلحادهم وإفكهم!! جَعَلَ نَفْسَه حَالِفَةً بنفسه؟! وجعلَ الحالفَ هو الله، فهو الحالفُ والمحلوفُ به؟!

كما يقولون: أرْسَلَ مِنْ نَفْسِه إلىٰ نفسِه رسولا بنفسه! فهو المرسل والمرسل إليه والرسول؟!

وكما قال ابن الفارض في قصيدته «نظم السلوك»:

لها صَلَواتي بالمـقَـام أُقـيـمُـهـا
وأَشْـهـدُ فيـهـا أنَّها لي صَلَّتِ

كِلانَـا مُصَـلٍّ واحـدٍ ساجـدٍ إلىٰ
حقـيـقـتـه بالجـمْـعِ في كلِّ سَجْـدةِ

١ـ خُدا: بضم الخاء اسم الجلالة بالفارسية، وإضافة إلىٰ ياء المتكلم، أي: إلهي. (الناشر).

وما كان لي[1] صَلَّى سواي ولم تكنْ
صلاتي لغيري في أدَا كلِّ ركْعةِ

إلىٰ أن قال:

وما زِلْتُ إياها وإياي لم تَزَل
ولا فرقَ بل ذاتي لذاتي حَنَّتِ
وقد رُفِعَتْ تاء المخاطَب بيننا
وفي رَفْعها عن فِرقةِ الفَرْق رِفعتي
فإنْ دُعِيتْ كنتُ المجيبَ وإنْ أكنْ
منادىٰ أجابتْ مَنْ دَعَاني ولبَّتِ

وأما المنقول عن عيسىٰ بن مريم صلوات اللّه عليه فهو كذبٌ عليه؟! وهو كلام مُلْحدٍ وَضَعه علىٰ المسيح، وهذا لم ينقله عنه مسلمٌ ولا نصراني، فإنه لا يوافق قول النصارىٰ قوله «إنَّ الله اشتاقَ أنْ يَرَىٰ ذاته المقدسة، فخلق من نوره آدم وجعله كالمرآة ينظر إلىٰ ذاته المقدسة فيها! وإني أنا ذلك النور وآدم المرآة» فهذا الكلام مع ما فيه من الكفر والإلحاد متناقض!! وذلك أنَّ الله سبحانه يَرَىٰ نَفْسَه كما يَسمع كلام نفسه، وهذا رسول الله ﷺ وهو عبدٌ مخلوق لله قال لأصحابه «إني أراكم مِنْ وَرائي كما أراكُم مِنْ بين يَدَي»[2] فإذا كان المخلوق قد يرىٰ ما خلفه وهو أبلغ من رؤية نفسه فالخالق تعالىٰ كيف لا يرىٰ نفسه؟!!

---

(١)- في الأصل: وما كان بي، والتصويب من ديوانه (ص٣٤) السطر (١١).

(٢)- أخرجه البخاري في الأذان (٢/٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١) - فتح الباري - ومسلم في الصلاة (١/٣٢٤): =

= من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَتِمُّوا الصفوف، فإني أراكم خلْفَ ظهري»**.

وأخرجه البخاري (١/٢٢٥) والنسائي في التطبيق (٢/٢١٦) عن قتادة عن أنس مرفوعاً بلفظ: **«أتموا الركوع والسجود، فوالله إني لأراكم من خلف ظهري في ركوعكم وسجودكم»** لفظ النسائي.

وله طرق أخرىٰ عن أنس.

وأخرجه البخاري (١/٥١٤) (٢/٢٢٥) من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بنحوه.

قال الحافظ ابن حجر (١/٥١٤): «وقد اختلف في معنىٰ ذلك، فقيل: المراد بها العلم، إما أن يوحي إليه كيفية فعلهم، وإما أن يلهم، وفيه نظر! لأن العلم لو كان مراداً لم يقيده بقوله: «من وراء ظهري».

وقيل: المراد أنه يرىٰ مَنْ عن يمينه ومن عن يساره ممن تدركه عينه مع التفات يسير في النادر، ويوصف من هو هناك بأنه وراء ظهره! وهذا ظاهر التكلف، وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب.

ثم قال: «والصواب المختار أنه محمول علىٰ ظاهره، وأن هذا الإبصار إدراكٌ حقيقي خاص به ﷺ انخرقت له فيه العادة، وعلىٰ هذا عمل المُصنِّف (أي البخاري)، فأخرج هذا الحديث في علامات النبوة، وكذا نقل عن الإمام أحمد وغيره، ثم ذلك الإدراك يجوز أن يكون برؤية عينه انخرقت له العادة فيه أيضاً فكان يرىٰ بها من غير مقابلة».

ونقل القول بظاهر الرواية عن الزين بن المنير والقرطبي (٢/٢٠٧).

وأيضاً فإنَّ شوقَه إلىٰ رؤية نَفْسِه حتىٰ خَلَقَ آدم يقتضي أنه لم يكن في الأَزَل يَرَىٰ نَفْسَه حتىٰ خلق آدم، ثم ذلك الشوق [إنْ][1] كان قديماً كان ينبغي أنْ يفعل ذلك في الأزَل، وإن كان مُحدثا فلا بد من سبب يقتضي حدوثه، مع أنه قد يقال «الشوق» أيضاً صِفَةُ نقص، ولهذا لم يَثبتْ ذلك في حق الله تعالىٰ، وقد روي «طالَ شوقُ الأبرارِ إلىٰ لقائي، وأنا إلىٰ لقائهم أشْوَق» وهو حديث ضعيف.

وقوله: خَلَق من نوره آدم وجعله كالمرآة، وأنا ذلك النور وآدم هو المرآة» يقتضي أنْ يكون آدم مخلوقاً من المسيح، والمسيح خُلِقَ من مريم، ومريم من ذرية آدم، فكيف يكون آدم مخلوقاً من ذريته؟

وإنْ قيل: المسيح هو نور الله! فهذا القول وإنْ كان جنس قول النصارىٰ، فهو شرٌّ من قول النصارىٰ، فإنَّ النصارىٰ يقولون: إنَّ المسيح هو الناسوت[2]، واللاهوت ـ الذي هو الكلمة ـ هي جوهر الابن، وهم يقولون: الاتحاد اتحاد اللاهوتَ والناسوت مُتجدد حين خُلِقَ بدن المسيح، لا يقولون أن آدم خُلِقَ من المسيح، إذْ المسيح عندهم اسمُ اللاهوت والناسوت جميعاً وذلك يمتنع أن يخلق منه آدم، وأيضاً فهم لا يقولون إنَّ

= ولعل تخصيص الرؤية بالصلاة أقرب لظاهر النص من حملها علىٰ العموم كما لا يخفىٰ، وقد مال إليه الحافظ في الفتح (١/٥١٥).

١ـ ليست في الأصل ويقتضيها السياق.

٢ـ الناسوت: هو الطبيعة البشرية، ويقابله: اللاهوت بمعنىٰ الألوهية، وهي من الكلمات المعرَّبة.
انظر المعجم الوسيط (٢/٨٩٥).

آدم خُلِق من لاهوت المسيح!

وأيضاً فقول القائل «**إنَّ آدمَ خُلِق من نور الله الذي هو المسيح**» إنْ أرادَ به نُوره الذي هو صفةٌ لله، فذاك ليس هو المسيح الذي هو قائمٌ بنفسه، إذ يمتنع أنْ يكونَ القائمُ بنفسه صفةً لغيره، وإنْ أراد بنوره ما هو نورٌ منفصلٌ عنه، فمعلوم أنَّ المسيح لم يكنْ شيئاً موجوداً منفصلاً قبل خلق آدم، فامتنع علىٰ كلِّ تقدير أنْ يكون آدم مخلوقاً مِنْ نورِ الله الذي هو المسيح.

وأيضاً: فإذا كان آدم كالمرآة، وهو ينظر إلىٰ ذاته المقدسة فيها، لزم أن يكونَ الظاهر في آدم هو مِثَالُ ذاته، لا أنَّ آدم هو ذاتُه، ولا مثال ذاته ولا كذاته،[1]، وحينئذ فإنْ كان المرادُ بذلك أنَّ آدمَ يعرفُ الله تعالىٰ فيرىٰ مثالَ ذاتِه العلمي في آدمَ، فالربُّ تعالىٰ يَعرف نفسه، فكان المثال العلمي إذا أمكن رؤيته للعلم المطابق له القائم بذاته أولىٰ من رؤيته للعلم القائم بآدم، وإنْ كان المراد أنَّ آدمَ نفسه سأل الله فلا يكون آدم هو المرآة، بل يكون هو كالمثال الذي في المرآة.

وأيضاً: فتخصيصُ المسيح بكونِه ذلك النُّور، هو قول النصارىٰ الذين يخصونه بأنه الله، وهؤلاء الإتحادية ضَمُّوا إلىٰ قول النصارىٰ قولهم بعموم الإتحاد حيثُ جعلوا في غير المسيح من جنس ما تقوله النصارىٰ في المسيح!!

* * *

وأما قول ابن الفارض:

١ـ كذا العبارة وفيها لبس!

وشـاهـدْ إذا اسْتَجْلَيت ذَاتَـك[1] مَنْ ترىٰ
بغـير مراءٍ في المِـرآة الـصَّـقـيـلةِ
أغـيرُكَ فيـهـا لاحَ أمْ أنـتَ ناظـرٌ
إليـك بها عنـد انـعـكـاسِ الأشـعَّـةِ

فهذا تمثيل فاسد! وذلك أن الناظر في المرآة مثال نفسه فيرىٰ نفسه، وكذا المِرآة لا يرىٰ نفسه بلا واسطة فقولهم بوجود باطل، وبتقدير صحته ليس هذا مطابقاً له، وأيضاً فهؤلاء يقولون بعموم الوَحدة والاتحاد والحلول في كلِّ شيء، فتخصيصهم بعد هذا آدم أو المسيح يُناقضُ قولهم بالعموم، وإنما يَخُصُّ المسيح ونحوَه مَنْ يقول بالإتحاد الخاص كالنصارىٰ، والغالية من الشيعة[2]، وجُهَّال النُّساك ونحوهم.

وأيضاً: فلو قُدِّر أن الإنسان يَرىٰ نَفْسَه في المرآة، فالمرآة خارجةٌ عن نفسه، فرأىٰ نَفْسَه أو مثالَ نَفْسِه في غيره، والكون عندهم ليس فيه غَيْرٌ ولا سِوىٰ، فليس هناك مَظْهَرٌ مُغاير للظاهر، ولا مِرآة مغايرة للرائي.

وهم يقولون: إنَّ الكونَ مَظَاهِرُ الحقِّ، فإنْ قالوا: المظاهرُ غير الظَّاهر، لزَمَ التعدد وبطلت الوَحدة! وإنْ قالوا: المظاهرُ هي الظَّاهر، لم يكن قد ظَهَرَ شيءٌ لشيء، ولا تجلَّىٰ شيءٌ في شيء، ولا ظَهَرَ شيءٌ في شيء،

---

(١) ـ في أول الكتاب جاء البيت:

وشاهدْ إذا استجليت نَفْسَك

(٢)ـ كالنصيرية (العلوية) الذين قالوا بحلول الرب في شخص علي رضي الله عنه، تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وكان قوله: «**وشاهد إذا استجليت نفسك من[1] ترىٰ. .**» كلاماً متناقضاً، لأنَّ هنا مخاطِباً ومخاطَباً، ومرآة تُسْتَجْلىٰ فيها الذات، فهذه ثلاثة أعيان، فإنْ كان الوجود واحدفا بالعين بطل هذا الكلام.

وكلُّ كلمةٍ يقولونها تنقضُ أصلهم.

(١) في المطبوعة: أن، وهو خطأ.

فصــل

وأما ما ذكره من قولِ ابنِ اسرائيل: «الأمرُ أمران: أمرٌ بواسطة، وأمر بغير واسطةٍ. . . إلىٰ آخره» فمضمونه أنَّ الأمرَ الذي بواسطةٍ هو الأمرُ الشرعي الديني، والذي بلا واسطةٍ هو الأمرُ القدري الكوني، وجعله أحدَ الأمرين بواسطة والآخر بغير واسطة كلام باطل! فإنَّ الأمرَ الديني يكون بواسطةٍ وبغير واسطة، فإنَّ الله كلَّم موسىٰ وأمره بلا واسطَةٍ وكذلك كلَّم محمدًا ﷺ وأمَرَه ليلة المعراج، وكذلك كلَّم آدم وأَمره بلا واسطة، وهي أوامر دينية شرعية.

وأما الأمر الكوني فقول القائل: إنَّه لا بواسطة خطأ! بل الله تعالىٰ خَلَقَ الأشياءَ بعضها ببعض، وأَمْرُ التكوين ليس هو خطاباً يَسمعه المُكَوَّن المخلوق، فإنَّ هذا ممتنع! ولهذا قيل: إنْ كان هذا خطاباً له بعد وجوده لم يكن قد كُوِّنَ به، بل كان قد كُوِّن قبل الخطاب، وإن كان خطاباً له قبل وجوده فخطاب المعدوم ممتنع!

وقد قيل في جواب هذا: إنه خطابٌ لمعلوم لحضوره في العلم، وإنْ كان معدوماً في العين.

وأما ما ذكره الفقير فهو سؤالٌ واردٌ بلا ريب[1]

١ـ وهو قوله: إن الله تعالىٰ قال لآدم بلا واسطة: لا تقرب الشجرة، فقرب وأكل.

وأما ما ذكره عن شيخه مِنْ أنَّ آدم كان توحيده ظاهراً وباطناً فكان قوله «لا تقرب» ظاهراً، وكان أمره «بكُلْ» باطناً!! فيقال: إنْ أُريدَ بكونه قال «كُلْ» باطناً أنه أَمَرَه بذلك في الباطن أمرَ تشريعٍ أو دين، فهذا كذبٌ وكفر!! وإنْ كان أراد أنه خَلَقَ ذلك وقدَّره وكَوَّنه، فهذا قَدْرٌ مشترك بين آدمَ وبين سائرِ المخلوقات، فإنما أمره إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كُنْ فيكون.

فكل ما كان من المكونات فهو داخل في هذا الأمر، وأكْلُ آدمَ من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخِلةٌ تحت هذا كدخول آدم، فنفس أكْلِ آدمَ هو الداخل تحت هذا الأمر كما دَخَلَ آدم[1].

وقول القائل: إنه قال لآدمَ في الباطن «كُلْ» مثل قوله: إنه قال للكافر «اكْفُر» وللفاسق «افسق»، والله لا يأمر بالفحشاء! ولا يحب الفساد، ولا يرضىٰ لعباده الكفر! ولا يوجد منه خطابٌ باطنٌ ولا ظاهرٌ للكفار والفُسَّاق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان؟! وإنْ كان ذلك واقعاً بمشيئته

١ـ وذلك لأن الله تعالىٰ خالق العباد وأفعالهم، كما قال تعالىٰ:
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال سبحانه:
﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [تبارك: ١٣-١٤].

وقد ألَّف أمام المحدثين البخاري رحمه الله تعالىٰ كتاباً في هذا الموضوع سماه «خلق أفعال العباد» وهو مطبوع متداول وأحسن طبعاته بتحقيق أخينا الفاضل/ بدر البدر.

وانظر شرح العقيدة الطحاوية ط. المكتب الإسلامي (ص ٤٩٣)

وقُدرته وخَلْقه وأمره الكوني.

فالأمر الكوني ليس هو أمراً للعبد أنْ يفعل ذلك الأمر بل هو أمْرُ تكوين لذلك الفعل في العبد، أو أمر تكوين لكون العبد علىٰ ذلك الحال، فهو سبْحانه هو الذي خَلَقَ الإنسان هَلُوعا، إذا مسَّه الشر جَزُوعاً، وإذا مسَّه الخير مَنُوعاً، وهو الذي جعلَ المسلمين مسلمين، كما قال الخليل:
﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة: ١٢٨]
فهو سبحانه جعل العباد علىٰ الأحوال التي خلقهم عليها، وأَمْرُهُ لهم بذلك أمر تكوين بمعنىٰ أنه قال لهم: كُونوا كذلك فيكونون كذلك، كما لو قال للجماد: كُنْ فيكون.

فأمر التكوين لا فرقَ فيه بين الجماد والحيوان، وهو لا يفتقر إلىٰ علم المأمور ولا إرادَتِه ولا قُدْرته، لكنَّ العبدَ قد يعلم ما جَرَىٰ به القَدَر في أحواله، كما يَعلمُ ما جرىٰ به القدر في أحوال غيره، وليس في ذلك عِلمٌ منه بأنَّ الله أمره في الباطن بخلاف ما أمره به في الظاهر! بل أَمَره بالطاعة باطناً وظاهراً، ونهاه عن المعصية باطناً وظاهراً قَدَّرَ ما يكون فيه من طاعةٍ ومعصية باطناً وظاهراً، وخَلَقَ العَبْدَ وجميعَ أعماله باطناً وظاهراً، وكوَّن ذلك بقوله «كن باطناً وظاهراً».

وليس في القَدَر حُجَّةٌ لابن آدم ولا عُذر، بل القدر يُؤْمَنُ به ولا يُحتج به، والمُحتَجُّ بالقدر فاسد العقل والدين متناقض، فإنَّ القدرَ إنْ كان حُجة وعُذراً لَزِمَ أنْ لا يُلامَ أحدٌ ولا يُعاقب ولا يقتصَّ منه، وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه إذا ظُلِمَ في نفسه وماله وعرضه وحرمته؛ أن لا ينتصر مِنَ الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه، وهذا أمرٌ ممتنع في الطبيعة، لا

يمكن أحداً أنْ يفعله، فهو ممتنعٌ طبْعاً مُحرَّم شرعاً.

ولو كان القدرُ حُجةً وعذراً، لم يكن إبليس مَلُوماً مُعاقباً، ولا فرعونَ وقومَ نوحٍ وعاد وثمود وغيرهم من الكفار، ولا كان جهادُ الكفار جائزاً، ولا إقامة الحدود جائزاً، لا قطعَ السارق، ولا جلد الزاني، ولا رجمه ولا قتل القاتل، ولا عقوبةَ مُعتدٍ بوجه من الوجوه!![1]

ولما كان الاحتجاج بالقدر باطلاً في فطر الخلق وعقولهم، لم تذهب إليه أمةٌ من الأمم، ولا هو مذهب أحدٍ من العقلاء الذين يَطْرُدُون قولهم فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد، لا في دنياه ولا آخرته، ولا يمكن اثنان أنْ يتعاشرا ساعةً واحدة إنْ لم يكن أحدهما ملتزماً مع الآخر نوعاً مِن الشرع، فالشرعُ نُور الله أرضه، وعدله بين عباده، لكنَّ الشرائع تتنوع: فتارةً تكون مُنَزَّلةً من عند الله كما جاءت به الرسل، وتارة لا تكون كذلك، ثم المنزَّلة تارة تُبَدَّلُ وتُغير كما غيَّر أهلُ الكتاب شرائعهم، وتارة لا تُغيَّر ولا تبدَّل، وتارة يدخلُ النسخُ في بعضها وتارة لا يدخل.

أما القدر فإنه لا يحتجُّ به أحدٌ إلا عند اتباع هواه، فإذا فعل فِعْلاً بمجـرد هواه وذوقه ووَجْدِه مَنْ غير أنْ يكون له علمٌ بحسن الفعل ومصلحته استند إلىٰ القدر، كما قال المشركون:

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]

قال الله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا

١ـ ولا يخفىٰ ما في ذلك من فساد الدين والدنيا، وعموم الفوضىٰ أرجاء الدنيا!

﴿ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾. [الأنعام: ١٤٨-١٤٩].

فبين أنهم ليس عندهم علمٌ بما كانوا عليه من الدِّين، وإنما يتبعون الظن، والقوم لم يكونوا ممن يُسَوِّغُ لكلِّ أحدٍ الاحتجاج بالقدر، فإنه لو خَرَّبَ أحَدٌ الكعبة، أو شَتم إبراهيمَ الخليل، أو طعن في دينهم، لعادوه وآذوه، كيف وقد عادَوا النبي ﷺ علىٰ ما جاء به من الدين، وما فعله هو أيضاً من المقدور؟! فلو كان الاحتجاجُ بالقدر حجةً، لكان للنبي ﷺ وأصحابه، فإنْ كان كلُّ ما يَحدِثُ في الوجود فهو مُقَدَّر، فالمحق والمبطل يشتركان في الاحتجاج بالقدر إنْ كان الاحتجاج به صحيحاً؟ ولكنْ كانوا يعتمدون علىٰ ما يعتقدونه من جنس دينهم، وهم في ذلك يتبعون الظَّنَّ ليس لهم به علم بل هم يخرصون!

وموسىٰ لما قال لآدم «لماذا أَخرجتَنا ونفسَك مِن الجنة؟ فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسىٰ: **«لم تَلُومُني علىٰ أمرٍ قَدَّره الله عليَّ قبل أنْ أُخْلَق بأربعينَ عاماً؟ فحجَّ آدمُ موسىٰ»**[1]

لم يكن آدم عليه السلام مُحتجًّا علىٰ فِعْلِ ما نُهِيَ عنه بالقَدَر؟! ولا كان موسىٰ ممن يحتجُّ عليه بذلك فيقبله! بل آحادُ المؤمنين لا يفعل مثل هذا فكيف آدم وموسىٰ؟ وآدم قد تاب مما فعل واجتباه ربه وهدىٰ، وموسىٰ

١ـ أخرجه البخاري في الأنبياء (٦/٤٤١) وفي التفسير (٨/٤٣٤) وفي القدر (١١/٥٠٥) وفي التوحيد (١٣/٤٧٧) ومسلم في القدر (٤/٢٠٤٢-٢٠٤٤) من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أعلمُ بالله مِنْ أنْ يلوم مَن هو دُون نبي علىٰ فعلٍ تابَ منه فكيف نبيٍ من الأنبياء؟!

وآدم يعلم أنه لو كان القدرُ حجةً لم يَحْتَجْ إلىٰ التوبة، ولم يجر ما جرىٰ من خروجه من الجنة وغير ذلك، ولو كان القدرُ حجةً لكان لإبليس وغيره، وكذلك موسىٰ يعلم أنه لو كان القدر حجة، لم يُعاقَب فرعون بالغرق، ولا بنو إسرائيل بالصعقة وغيرها، كيف وقد قال موسىٰ: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص: ١٦] وقال: ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٥٥].

وهذا بابٌ واسع، وإنما كان لومُ موسىٰ لآدمَ من أجل المصيبة التي لحقتهم بآدم مِنْ أكل الشجرة، ولهذا قال: «**لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟**» واللَّوم لأجل المصيبة التي لحقت الانسان نوعٌ، واللوم لأجل الذنب الذي هو حقُّ الله نوعٌ آخر، فإنَّ الأبَ لو فعل فِعْلاً افتقر به حتىٰ تضرر بنوه فأخذوا يلومونه لأجل ما لحقهم من الفقر، لم يكن هذا كلومه لأجل كَونه أذنب، والعبدُ مأمورٌ أنْ يصبر علىٰ المقدور، ويُطيع المأمور، وإذا أذنب استغفر كما قال تعالىٰ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥] وقال تعالىٰ: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾. [التغابن: ١١].

قال طائفة من السلف: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضىٰ ويُسَلِّم.

لمن احتج بالقَدَر علىٰ ترك المأمور، وجزع مِنْ حُصُولِ ما كَرِهُه مِنَ المقْدوُر، فقد عَكَسَ الإيمان والدِّين! وصار مِن حزب الملحدين المنافقين.

وهذا حال المحتجين بالقدر فإنَّ أحدهم إذا أصابته مصيبةٌ عَظُمَ جَزَعُه، وقلَّ صبره، فلا ينظر إلىٰ القَدَر ولا يُسلِّم له، وإذا أَذْنَبَ ذنباً أخذ يحتجُّ بالقدر، فلا يفعل المأمور، ولا يترك المحظور، ولا يصبر علىٰ المقدور، ويعِّي مع هذا أنَّه من كبار أولياء الله المتقين؟! وأئمة المحققين الموجودين! وإنما هو مِنْ أعداء الله الملحدين، وحزب الشيطان اللعين!

وهذا الطريق إنما يسلكه أبعدُ الناس عن الخير والدين والإيمان، تجد أحدهم أخبثَ[1] الناس إذا قَدِر، وأعظمهم ظلماً وعدواناً، وأذل الناس إذا قُهِر، وأعظم جَزَعاً ووهناً، كما جَرَّبه الناس مِنَ الأحزاب البعيدين عن الإيمان بالكتاب والمقابلة من أصناف الناس.

والمؤمن إنْ قَدِرَ عَدَلَ وأحْسن، وإنْ قُهر وغُلب صَبَر واحْتَسَب، كما قال كعب بن زهير في قصيدته التي أنشدها للنبي ﷺ التي أولها «بانَت سُعَاد» الخ في صفة المؤمنين:

ليسوا مَفَاريحَ إنْ نَالَتْ رماحُهُمُ
يوماً وليسوا مجَازيعاً إذا نِيلُوا

وسُئِل بعض العرب عن شيء من أمور النبي ﷺ فقال: رأيته يَغلب فلا يبطر، ويُغلب فلا يضجر، وقد قال تعالىٰ:

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل

(١) في المطبوعة: أخير، ولا تستقيم العبارة، فتأمل!

عمران: ١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

فَذَكَرَ الصبر والتقوىٰ في هذه المواضع الأربعة فالصبر يدخل فيه الصبر علىٰ المقدور، والتقوىٰ يدخل فيها فعل المأمور، فمن رُزِقَ هذا وهذا فقد جُمِعَ له الخير، بخلاف مَنْ عكس، فلا يَتَّقي الله بل يترك طاعته متبعاً لهواه ويحتج بالقدر، ولا يصبر إذا ابتلىٰ، ولا ينظر حينئذ إلىٰ القدر، فإنَّ هذا حالُ الأشقياء، كما قال بعضُ العلماء: أنتَ عند الطاعة قَدَريٌّ وعند المعصية جبْريٌّ! أيُّ مذهبٍ وافقَ هواكَ تمذهبت به!

يقول: أنتَ إذا أَطَعْتَ جعلتَ نفسك خَالِقاً لطاعتك، فتنسىٰ نعمة الله عليك كي[1] أنه جعلك مُطيعاً له، وإذا عَصيتَ لم تَعترفْ بأنكَ فعلتَ الذَّنب! بل تجعل نفسك بمنزلةِ المجْبورِ عليه بخلاف مراده! أو المُحَرِّكِ الذي لا إرادَة له ولا قُدرةَ ولا علم، وكلاهما خطأ!!

وقد ذكر أبو طالب المكي عن سهل بن عبدالله التُسْتَري أنه قال: إذا عَمِلَ العبد حسنةً فقال: أيْ ربِّي، أنا فعلتُ هذه الحَسَنة، قال له ربُّه: أنا يَسَّرتُكَ لها وأنا أعنتُكَ عليها، فإنْ قال: أيْ ربِّي، أنتَ أعنتني عليها ويَسَّرتني لها، قال له ربُّه: أنتَ عَمِلْتَها وأجرُها لك، وإذا فَعَلَ سيئةً،

١ـ كذا في الأصل، ولعل صوابه «في» وحذفه أولىٰ (الناشر).

فقال: أيْ ربِّ أنتَ قَدَّرْتَ عليَّ هذه السيئة! قال له ربُّه: أنت اكتسبتها وعليك وزرها، فإنْ قال: أي ربي إني أذنبت هذا الذنب وأنا أتُوبُ منه، قال له ربُّه: أنا قَدَّرتُه عليك، وأنا أغفره لك.

وهذا بابٌ مبسوطٌ في غير هذا الموضع.

وقد كثُر في كثيرٍ من المنتسبين إلىٰ المشيخة والتصوف شُهود القَدَرِ فقط! مِنْ غير شهود الأمر والنهي، والاستنادُ إليه في ترْكِ المأمور وفِعْلُ المحظور، وهذا أعظم الضلال! ومَنْ طَرَّد هذا القول، والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصارىٰ والمشركين، لكنَّ أكثرَ من يَدْخل في ذلك يتناقض، ولا يَطرد قوله.

وقول هذا القائل هو من هذا الباب.

فقوله: آدم كان أمره بِكُلْ باطناً فأَكَلَ، وإبليس كان توحيدُه ظاهراً فأُمِرَ بالسجود لآدَم غَيْراً فلم يسجد!! فغيَّر الله عليه وقال: ﴿أخرج منها﴾ الآية.

فإنَّ هذا مع مافيه مِنَ الإلحاد كذبٌ علىٰ آدم وإبليس!! فآدم اعترفَ بأنه هو الفاعلُ للخَطيئةِ وأنه هو الظَّالم لنفسه، وتابَ من ذلك ولم يقل إنَّ الله ظَلَمَني، ولا إنَّ الله أَمَرني في الباطن بالأكل، قال تعالىٰ:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وإبليسُ أَصرَّ واحتجَّ بالقَدَرَ فقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٣٩].

وأما قوله: «رآه غيراً فلم يسجد» فهذا شَرٌّ من الاحتجاج بالقَدَر، فإنَّ هذا قولُ أهلِ الوَحْدة المُلحدين، وهو كذبٌ على إبليس! فإنَّ إبليس لم يمتنع من السجود لكونه غَيْراً، بل قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

ولم تُؤْمِر الملائكةُ بالسجود لكون آدم ليس غيراً! بل المُغَايرة بين الملائكة وآدمَ ثابتةٌ معروفة، والله تعالىٰ:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١-٣٢].

وكانت الملائكة وآدمُ مُعْتَرِفين بأنَّ الله مُباينٌ لهم، وهم مُغَايرونَ له، ولهذا قالوا: دَعْوُهُ دُعاء العبدُ ربَّه[1] فآدم يقول: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ والملائكة تقول: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ وتقول: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ الآية [غافر: ٧].

وقد قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ﴾ [الزمر:

١ـ أي الملائكة وآدم عليهم السلام دعوا ربهم كما يدعو العبد ربَّه.

.[٦٤

وقال تعالىٰ: ﴿ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام: ١٤].[1] وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾ [الأنعام: ١١٤]. فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه بعبادة غير الله؟ ولا اتخاذِ غيرِ الله ولياً ولا حكماً؟ فَلَمْ يكونوا يستحقون الإنكار؟! فلما أَنْكَرَ عليهم ذلك دَلَّ علىٰ ثبوت غَيْرٍ يمكن عبادته واتخاذه ولياً وحكماً، وأنه مَنْ فَعَلَ ذلك فهو مُشركٌ بالله، كما قال تعالىٰ:

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣][2]

وقال ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢] وأمثال ذلك.

وأما قول القائل: إنَّ قوله: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] عَيْنُ الإثباتِ للنبي ﷺ، كقوله ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] فهذا بناه علىٰ قول أهلِ الوَحدة والإتحاد! وجعل معنىٰ قوله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] أي: فِعْلُكَ هو فِعْلُ الله!! لعدم المغايرة، وهذا ضلال عظيم من وجوه:

---

١ ـ ضبطت «فاطر» في المطبوعة بالفتح، وهو خطأ!

٢ ـ في المطبوعة: ﴿ولا تدع مع الله ...﴾ وهو خطأ.

(أحدهما) إنَّ قوله ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ نزل في سياق قوله:

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٧-١٢٨].

وقد ثبتَ في الصحيح «أن النبي ﷺ كان يَدْعو علىٰ قومٍ منَ الكفارِ أو يَلعنهم في القُنُوت، فلما أنْزَل الله هذه الآية تَرَكَ»[1].

فعلم أنَّ معناها إفرادُ الربِّ تعالىٰ بالأمر، وأنه ليس لغير أمْرٌ، بل إنْ شاء الله تعالىٰ قَطَعَ طَرَفاً من الكفار، وإنْ شاء كَبَتَهم فانقلبوا بالخسارة، وإنْ شاء تابَ عليهم، وإن شاء عذَّبهم.

وهذا كما قال في الآية الأخرىٰ:
﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ونحو ذلك قوله تعالىٰ:
﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(الوجه الثاني) إنَّ قوله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] لم يُرِدْ به إنَّ فعلَ العبدِ هو فِعْلُ الله تعالىٰ! كما تظنُّه طائفةٌ مِنَ

١- انظر فتح الباري (٢/ ٤٨٩-٤٩٠) وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ (٨/ ٢٢٥-٢٢٦).

الغالطين، فإنَّ ذلك لو كان صحيحاً لكان ينبغي أنْ يقالَ لكلٍّ أحدٍ! حتىٰ يقال للماشي: ما مشيت إذْ مشيتَ ولكنَّ الله مشىٰ، ويقال للراكب وما ركبتَ إذْ ركبت ولكنَّ الله ركب، ويقال للمتكلم: ما تكلمت إذْ تكلمتَ ولكن الله تكلَّم، ويقال مثل ذلك للآكلِ والشَّاربِ والصائم والمصلي ونحو ذلك، وطَرْدُ ذلك يستلزم أنْ يقالَ للكافر: ما كفَرتَ إذ كفرت ولكنَّ الله كَفَرَ! ويقال للكاذب ما كذبتَ إذْ كذبتَ ولكنَّ الله كذب! ومَنْ قال مثل هذا فهو مُلْحِدٌ خارجٌ عن العقل والدين!!

ولكن معنىٰ الآية أنَّ النبي ﷺ يوم بدر رَمَاهم ولم يكنْ فى قُدْرته أنْ يُوصلَ الرمْيَ إلىٰ جميعهم، فإنه إذْ[1] رَمَاهم بالتُّراب وقال: «شَاهتِ الوُجُوه»[2] ولم يكن في قُدرته أنْ يُوصِلَ ذلك إليهم كلهم، فالله تعالىٰ أَوْصَلَ ذلك الرمي إليهم بقُدرته، يقول: وما أَوْصَلْت إذ حذفت ولكنَّ الله أوصل، فالرمي الذي أثبته له، ليس هو الرمي الذي نفاه عنه، وهو الإيصال والتبليغ، وأثبت له الحَذْفُ والإلقاءُ، وكذلك إذا رَمَىٰ سنهماً فأوصلها بقدرته.

١ـ في المطبوعة: إذا، وهو خطأ.

٢ـ المروي في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد أن ذلك كان في غزوة حنين.

فقد أخرج مسلم في الجهاد والسير (١٤٠٢/٣) من حديث سلمة بن الأكوع قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ حُنيناً. . .» وفيه «فلما غَشَوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضةً من تُرابٍ من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال: «شَاهَت

(الوجه الثالث) إنه لو فُرِضَ أنَّ المرادَ بهذه الآية أنَّ الله خالقُ أفعالِ العباد، فهذا المعنىٰ حَقٌّ، وقد قال الخليل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾ [البقرة: ١٢٨] فالله هو الذي جَعَلَ المسلم مُسلماً.

= الوجوه» فما خَلَقَ الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تُراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل، وقَسَم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين.

ورواه أحمد (٥/٢٨٦) والدارمي (٢/٢١٩) من حديث أبي عبدالرحمن الفهري بنحوه.

لكن روىٰ الإمام أحمد (١/٣٦٨) عن ابن عباس: إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد فلم نفارقه حتىٰ نقتله، قال: فأقبلت فاطمة تبكي حتىٰ دخلت علىٰ أبيها فقالت: هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك، قال: يا بنية أدني وضوءاً، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا: هو هذا، فخفضوا أبصارهم وعُقروا في مجالسهم فلم يرفعوا إليه أبصارهم ولم يقم منهم رجل، فأقبل رسول الله ﷺ حتىٰ قام علىٰ رؤوسهم فأخذ قبضة من تراب فحَصَبهم بها وقال: «شَاهت الوجوه» قال: فما أصابت رجلاً منهم حصاة إلا قد قتل يوم بدر كافراً.

وسنده حسن، رجاله رجال الشيخين سوىٰ عبدالله بن عثمان بن خثيم المكي وهو صدوق من رجال مسلم وحده.

وأخرج ابن جرير (٩/١٣٦) من طريق عن علي عن ابن عباس قال: رفع رسول الله ﷺ يده يوم بدر فقال: يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً، فقال له جبريل: خُذ قبضةً من التراب، فأخذ قبضة من التراب فرمىٰ بها في وجوههم فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه ترابٌ من تلك القبضة فولوا مبدرين.

وعلي هو ابن أبي طلحة وقد أعلت روايته بالانقطاع.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١] فالله هو الذي خلقه هلوعاً، لكنْ ليس في هذا أنَّ الله هو العبد! ولا أنَّ وجودَ الخالق هو وجود المخلوق! ولا أنَّ الله حَالٌّ في العبد!

فالقول بأنَّ الله خالقُ أفعال العباد حقٌّ، والقولُ بأنَّ الخالقَ حالٌّ في المخلوقِ، أو وجُوده وجود المخلوق باطل! وهؤلاء ينتقلون من القولِ بتوحيدِ الربوبيةِ إلىٰ القولِ بالحُلولِ والإتحاد، وهذا عين الضلال والإلحاد!!

(الوجه الرابع) إنَّ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] لم يُرِد به إنَّكَ أنتَ الله! وإنما أراد إنَّك أنتَ رسولُ الله ومُبَلِّغُ أمرِهِ ونهيه، فمنْ بايعكَ فقد بايعَ الله، كما أنَّ مَنْ أطاعكَ فقد أطاعَ الله، ولم يرد بذلك أنَّ الرسول هو الله! ولكنَّ الرسول أمَرَ بما أَمَرَ الله به، فمن أطاعه فقد أطاع الله، كما قال النبي ﷺ **«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ أطاعَ أَمِيري فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد عصىٰ الله، وَمَن عصىٰ أمِيري فَقَد عَصَانِي»**[1]

وأخرج ابن جرير مراسيل في المعنىٰ نفسه، وحديثاً عن حكيم بن حزام وفي سنده ضعف.

١- أخرجه البخاري في الجهاد (٦/١١٦) وفي الأحكام (١٣/١١١) ومسلم في الإمارة (٣/١٤٦٦-١٤٦٧) من طرق عن أبي هريرة مرفوعاً به ولفظه **«مَنْ أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصىٰ أميري فقد عصاني»**.

ورواه أحمد (٢/٤٦٧) والطيالسي (٢٥٧٧) وأبو عوانة (٢/١٠٩-١١٠) مع =

ومعلومٌ أنَّ أميرَه ليس هو إياه.

ومنْ ظنَّ في قولـه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح: ١٠] أنَّ المرادَ به أن فعلك هو فعلُ الله، أو المراد أنَّ الله حالٌ فيك! ونحو ذلك، فهو مع جهله وضلاله بل كفره وإلحاده، قد سلب الرسولَ خاصيَّته، وجعله مثل غيره، وذلك أنَّه لو كان المراد به أنه[1] خالق لفعلك، لكان هنا قَدَرٌ مُشتركٌ بينه وبين سائرِ الخلق، وكان مَنْ بايع أبا جهل فقد بايع الله، ومن بايع مُسيلمة فقد بايع الله، ومن بايع قادة الأحزاب فقد بايع الله، وعلىٰ هذا التقدير: فالمبايع هُو الله أيضاً، فيكون الله قد بايع الله! إذْ الله خالقٌ لهذا وهذا. وكذلك إذا قيل بمذهب أهل الوحدة والاتحاد فإنه عاقم عندهم في هذا وهذا، فيكون الله قد بايع الله! وهذا يقوله كثيرٌ من شيوخ هؤلاء الحلولية، حتىٰ إنَّ أحدَهم إذا أُمِرَ بقتال العدو يقول: أُقاتِلُ الله؟ ما أقدر أنْ أُقاتل الله! ونحو هذا الكلام الذي سمعناه من شيوخهم، وبينًا فساده لهم وضلالهم غير مرة.

وأما الحلول الخاص فليس هو قول هؤلاء، بل هو قول النصارىٰ ومن وافقهم مِنَ الغالية[2] وهو باطلٌ أيضاً فإن الله سبحانه قال له: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ وقال: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾[الجن: ١٩] وقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[الإسراء: ١] وقال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ

= زيادات.

١ـ في المطبوعة: أن خالق . . .، ولعل الصواب ما أثبتناه.

٢ ـ هم فرق الباطنية، وآخرهم البهائية (الناشر).

﴿فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

فقوله ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، يبين قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] ولهذا قال: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. ومعلومٌ أنَّ النبي ﷺ كانت مع أيديهم، كانوا يصافحونه ويَصفِقُون علىٰ يده في البَيعة، فَعلِم أنَّ يدَ الله التي فوق أيديهم ليست هي يَدُ النبي ﷺ، ولـكنَّ الرسـولَ عبدُالله ورسوله فبايعهم عن الله، وعاهَدَهم وعاقَدَهم عن الله، فالذين بايعوه بايعوا الله الذي أرسله وأمره ببيعتهم، ألا تَرَىٰ أنَّ كلَّ مَنْ وكَّل شخصاً بعقدٍ مع الوكيل، كان ذلك عَقْداً مع المُوكِّلِ، ومَن وكَّل نائباً له في معاهدةِ قومٍ فعاهدهم عن مُسْتَنيبه، كانوا معاهدين لمستنبيه، ومَن وكَّل رجلاً في نكاحٍ أو تزَوِّجٍ كان المُوكِّلُ هو الزوجُ الذي وَقَعَ له العقد؟ وقد قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]. الآية ولهذا قال في تمام الآية[1] ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]

فتبين أن قول ذلك الفقير هو القول الصحيح، وأنَّ الله إذا كان قد

١ـ أي في تمام الآية السابقة: ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله..﴾.

قال لنبيه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. فأيش نكون نحن؟

وقد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: **«لا تُطْرُوني كما أطْرت النَّصارىٰ المسيحَ بن مريم، فإنَّما أنا عَبْدٌ فقولوا عبدُ الله ورسوله»**[1]

* * *

وأما قول القائل:

ما غَبْتَ عن القَلْبِ ولا عَنْ عَيني
ما بَينكم وبَيْنَنا مِنْ بَيْنِ

فهذا القولُ مبني علىٰ قولِ هؤلاء وهو باطل متناقض! فإنَّ مقتضاه أنه يَرَىٰ الله بعينه! وقد ثَبتَ في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«واعْلَموا أنَّ أحَدَاً منكم لنْ يَرَىٰ ربَّه حتىٰ يَموت»**.[2]

١ـ أخرجه البخاري في الأنبياء (٦/٤٧٨).

٢ـ أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة (٤/٢٢٤٤ـ٢٢٤٥) عن الزهري قال وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال يوم حذَّر الناس الدجال: **«إنه مكتوب بين عينيه: كافرٌ، يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن، وقال: «تَعلَّموا أنه لن يرىٰ أحدٌ منكم ربه عز وجل حتىٰ يموت»**.

قال الحافظ ابن حجر في التقريب: عمر بن ثابت الأنصاري عن بعض الصحابة، أظنه: أبا أمامة.

وانظر التعليق علىٰ «الوصية الكبرىٰ» (ص ٢٧) لشيخ الإسلام رحمه الله تعالىٰ.

وقد اتفق أئمة المسلمين علىٰ أنَّ أحداً من المؤمنين لا يَرَىٰ الله بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ، مع أنَّ جماهيرَ الأئمةِ علىٰ أنه يره بعينه في الدنيا، وعلىٰ هذا دلَّت الآثارُ الصحيحة الثابتةُ عن النبي ﷺ والصحابة وأئمةِ المسلمين.

ولم يَثْبُت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: رأىٰ ربه بعينه، بل الثابت عنهم: إما إطلاقُ الرؤية، وإما تقييدها بالفؤاد، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتةِ أنه رآه بعينه، وقوله: **«أتَاني البارحةَ ربِّي في أحْسَنِ صُورة»** الحديث الذي رواه الترمذي وغيره[1] إنما كان بالمدينة في المنام هكذا جاءَ مفسراً، وكذلك أم الطُّفيل وحديث ابن عباس وغيرهما مما فيه رُؤْية ربه إنما كان بالمدينة، كما جاء مفسراً في

١ـ سنن الترمذي (٥/٣٢٣٣) وأخرجه أحمد (١/٣٦٨) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسنِ صورة ـ أحسبه يعني في النوم ـ فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قال قلت: لا، . . .»** الحديث.

وأخرجه الترمذي (٥/٣٢٣٥) وأحمد (٥/٢٤٣) وابن خزيمة في التوحيد (ص ٢١٩ـ٢٢٠) عن معاذ بن جبل.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن اسماعيل ـ يعني البخاري ـ عن هذا الحديث فقال: هذا حديث سن صحيح.
وصححه أحمد.

وانظر التعليق علىٰ «الوصية الكبرىٰ» (٢٢) والكلام علىٰ متنه وألفاظه في «إبطال التأويلات لأخبار الصفات» للقاضي أبي يعلى الفراء (١/١٠٣) وما بعدها بتحقيقنا.

الأحاديث، والمعراجُ كان بمكة كما قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١]. وقد بُسِطَ الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

وقد ثبتَ بنصِّ القرآن أن موسى قيل له: ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾[الأعراف: ١٤٣] وأن رؤية الله أعظم منْ إنزالِ كتابٍ من السماء، فمن قال إنْ أحداً مِنَ الناس يراه، فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران، ودعواه أعظمُ مِنْ دعوى من ادَّعى أنَّ الله أَنْزَلَ الله أَنْزَلَ عليه كتاباً من السماء!!

[و][1] المسلمون في رؤية الله على **ثلاثة أقوال**: فالصحابةُ والتابعون وأئمةُ المسلمين على أنَّ الله يُرى في الآخرةِ بالأبصار عياناً، وأن أحداً لا يراه في الدنيا بعينه، لكنْ يُرى في المنام، ويحصل للقلوبِ في المكاشفات والمشاهدات ما يُناسب حالها.

ومن الناس مَنْ تَقْوَىٰ مُشاهدةُ قلبهِ حتى يظنَّ أنه رأى ذلك بعينه، وهو غالط! ومشاهداتُ القلوبِ تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفته في صورة مثالية كما قد بُسِط في غير هذا الموضع.[2]

والقول الثاني: قولُ نفاةِ الجهميةِ أنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة!!

والثالث: قولُ مَنْ يَزْعُم أنه يُرى في الدنيا والآخرة!

وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والإثبات، فيقولون: إنه لا يُرى

١ـ ليست في المطبوعة ويقتضيها السياق.

٢ـ انظر كلامه رحمه الله على هذه المسألة في مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٥-٣٩٢).

في الدنيا ولا في الآخرة، وأنه يرىٰ في الدنيا والآخرة! وهذا قول ابن عربي صاحب «الفُصوص» وأمثاله، لأنَّ الوجود المطلق السَّاري في الكائنات لا يُرىٰ، وهو وجود الحق عندهم!

ثم مَنْ أثبتَ الذاتَ قال: يُرىٰ متجلِّياً فيها، ومَنْ فرَّق بين المطلق والمعين قال: لا يُرىٰ إلا مقيداً بصورة، وهؤلاء قولهم دائرٌ بين أمرين: إنكار رؤيةِ الله، وإثباتُ رؤيةِ المخلوقات، ويجعلون المخلوق هو الخالق، أو يجعلون الخالق حالاًّ في المخلوق! وإلا فتفريقهم بين الأعيانِ الثابتةِ في الخارج، وبينَ وجودها هو قولُ مَنْ يقولُ بأنَّ المعدوم شيءٌ في الخارج! وهو قولٌ باطلٌ[1].

وقد ضَمُّوا إليه أنهم جعلوا نفسَ وجودِ المخلوقِ هو وجودُ الخالق.

وأما التفريق بين المطلق والمعين ـ مع أنَّ المطلقَ لا يكون هو في الخارج مطلقاً ـ يقتضي أنْ يكون الربُّ معدوماً! وهذا هو جُحود الربِّ وتعطيله! وإنْ جعلوه ثابتاً في الخارج جعلوه جُزءاً من الموجودات، فيكون الخالق جزءاً من المخلوق أو عَرَضاً قائماً بالمخلوق! وكلُّ هذا مما يُعلم فساده بالضرورة، وقد بُسِطَ هذا في غير هذا الموضع.

وأما تناقضه فقوله:

ما غِبـتَ عن الـقـلـبِ ولا عن عيـني
ما بيـنَـكـم وبـيـنَـنـا مِنْ بَينِ

١ـ وقد سبق التعليق عليه.

يقتضي المُغَايرة، وأن المخاطَبَ غيرُ المخاطِب، وأنَّ المخاطِبَ له عين [و][1] قلب لا يغيب عنها المخاطَبُ، بل يشهده القلبُ والعينُ، والشاهد غير المشهود.

وقوله: «ما بينكم وبيننا مِنْ بين» فيه إثباتُ ضميرِ المتكلم وضمير المخاطب وهذا إثباتٌ لاثنين.

وإن قالوا: مظاهر ومجالي.

قيل: فإنْ كانت المظَاهِرُ والمجالي غير الظَّاهر المتجلي، فقد ثبتت التثنية وبطل التعدد، وإنْ كان هو إياها فقد بطلت الوحدة فالجمع بينهما تناقض!

* * *

وقول القائل:

فَارِقْ ظُلْمَ الطَّبْعِ وكُنْ مُتَّحِداً
بالله وإلا كل دَعْواكَ مُحال

إنْ أراد الإتحاد المطْلق، فالمفارِقُ هو المفارَقُ وهو الطَّبعُ وظلمُ الطبعِ، وهو المخاطب بقوله «وكن متحداً بالله» وهو المخاطب بقوله «كل دَعواك محال» وهو القائل هذا القول، وفي ذلك من التناقض ما لا يخفىٰ!

وإنْ أرادَ الإتحادَ المقيدَ فهو ممتنعٌ، لأنَّ الخالقَ والمخلوقَ إذا اتَّحدا، فإنْ كان بعد الاتحاد اثنين، كما كانا قبل الاتحاد فذلك تعددٌ وليس باتحاد.

١ـ سقطت من المطبوعة ويقتضيها السياق.

وإنْ كانا استحالا إلىٰ شيء ثالث، كما يتحدُّ الماءُ واللبنُ والنار والحديد، ونحو ذلك مما يشبه النصارىٰ بقولهم في الاتحاد لَزِمَ من ذلك أنْ يكون الخالقُ قد استحال وتبدَّلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره، فإنه لا بد أنْ يستحيلَ، وهذا ممتنعٌ علىٰ الله، يُنَزَّهُ الله عن ذلك! لأنَّ الاسْتِحالة تقتضي عدمُ ما كان موجوداً، والربُّ تعالىٰ واجبُ الوجودِ بذاته وصفاتِه اللازمةِ له، يمتنعُ العدمُ علىٰ شيء من ذلك، ولأنَّ صفاتَ الربِّ اللازمةِ له صفاتُ كمال، فعدمُ شيءٍ منها نقصٌ تعالى الله عنه، ولأنَّ اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أنَّ العبد متصفٌ بالصفات القديمةِ اللازمة لذات الربِّ، وذلـك ممتنـع علىٰ العبد المُحدَثِ المخلوقِ! فإنَّ العبدَ يلزمه الحدُوثِ والإفتقارُ والذلُ، وصفاتُ الربِّ تعالىٰ اللازمة: القِدمُ والغِنىٰ والعزَّةُ، وهو سبحانه قديمٌ[1] غنيٌ عزيزٌ بنفسه، يستحيل عليه نقيضُ ذلك، فاتحاد أحدهما بالآخر يقتضي أنْ يكون الربُّ متِّصفاً بنقيض صفاته مِنَ الحدوث والفقر والذلِّ! والعبد متصفاً بنقيض صفاته مِنَ القِدَم، والغِنىٰ الذاتي، والعزِّ الذاتي! وكلُّ ذلك ممتنعٌ وبسط هذا يطول.

ولهذا سُئل الجنيد عن التوحيد فقال: التوحيد إفرادُ الحُدوُثِ عن القِدَم.

فبين أنَّه لا بدَ من تمييز المحدَث عن القديم.

١ـ القديم ليس من أسماء الله تعالىٰ، ويغني عنه اسمه «الأول» الوارد في الكتاب والسنة، وقد يتوسع في إطلاقه من باب الإخبار عنه تعالىٰ.

انظر التعليق علىٰ «إبطال التأويلات» (١/١٨٣ـ١٨٤).

ولهذا اتفق أئمة المسلمين علىٰ أنَّ الخالقَ بائنٌ عن مخلوقاته، ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاتِه من شىءٌ من مخلوقاته، بل الربُّ ربٌّ، والعبدُ عبدٌ.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾. [مريم: ٩٣-٩٥]

وإنْ كان المتكلمُ بهذا البيتِ أرادَ الاتحادَ الوصْفي، وهو أنْ يُحِبَّ العبدُ ما يحبه الله، ويبغضَ ما يُبغضه الله، ويَرضىٰ بما يُرضي الله، ويغضبَ لما يُغضب الله، ويأمرَ بما يأمر الله، وينهىٰ عما ينهىٰ الله عنه، ويُوالىٰ مَنْ يواليه الله، ويُعادي من يعاديه الله، ويحبَّ لله، ويبغضَ لله، ويُعطِي لله، ويمنع لله، بحيث يكون موافقاً لربه تعالىٰ، فهذا المعنىٰ حقٌّ وهو حقيقة الإيمان وكماله.

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالىٰ من عادىٰ لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضتُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتىٰ أُحبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سَمْعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورجله التي يمشي بها، فبِي يَسمعُ وبي يُبْصرُ وبي يبطشُ وبي يمشي، ولئنْ سألني لأعْطِيَنَّه، ولئن استعاذَ بي لأعيذنَّه، وما تردَّدتُ عن شيءٍ أنا فاعلُه ترددي عن قَبْضِ نفْسِ عبدي المؤمن، يَكرهُ الموتَ وأكرهُ مَسَاءَته، ولا بدَّ له منه».[1]

١ـ أخرجه البخاري في الرقاق (١١/ ٣٤٠-٣٤١).

وهذا الحديثُ يَحتجُّ به أهلُ الوَحْدةِ وهو حجةٌ عليهم من وجوه كثيرة: منها: أنه قال: **«مَنْ عادىٰ لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة»** فأثبتت نفسه ووليَّه ومُعادي وليه، وهؤلاء ثلاثة، ثم قال: **«وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزالُ عبدي يتقرَّب لي بالنوافل حتىٰ أُحبَّه»** فأثبتَ عبداً يتقرَّبُ إليهِ بالفرائض ثم بالنوافل، وأنه يزالُ يتقرَّبُ بالنوافل حتىٰ يحبَّه، فإذا أحبَّه كان العبدُ يسمعُ به ويبصر به ويبطش به ويمشي به.

وهؤلاء[1] هو عندهم قبل أن يتقرَّب بالنوافل وبعده هو عينُ العبد وعينُ غيره من المخلوقات، فهو بطنه وفخذه!! لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث! فالحديث مخصوصٌ بحالٍ مُقَيد، وهم يقولون بالإطلاق والتعميم، فأين هذا من هذا؟

وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح **«إنَّ الله يَتَجَلَّىٰ لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورةٍ غير الصورة التي رأوهُ فيها أولَ مرةٍ فيقول: أنا ربُّكم فيقولون: نعوذُ بالله منك، هذا مكاننا حتىٰ يأتينا ربُّنا، فإذا جاء ربُّنا عَرَفْناه، ثم يأتيهم في الصُّورةِ التي رأوهُ فيها في أولَ مرةٍ فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنتَ ربنا»**[2]

فيجعلون هذا حجة لقولهم إنَّه يُرىٰ في الدنيا في كلِّ صورةٍ، بل هو

١ـ أي أهل الوحدة.

٢ـ أخرجه أحمد (٢/٢٧٥ـ٢٧٦، ٥٣٣ـ٥٣٤) والبخاري في الرقاق (١١/٤٤٤ـ٤٤٥) وفي التوحيد (١٣/٤١٩ـ٤٢٠) ومسلم في الإيمان (١/١٦٣ـ١٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كلِّ صورةٍ، وهذا الحديث حجةٌ عليهم ـ في هذا ـ أيضاً فإنه لا فرق عندهم بين الدنيا والآخر وهو عندهم في الآخرة المنكرون [٢] الذين قالوا نعوذ بالله منك حتىٰ يأتينا ربنا وهؤلاء الملاحدة يقولون: إنَّ العارفَ يعرفه في كلِّ صورةٍ، فإنَّ الذين أنكروه يومَ القيامةِ في بعض الصُّور كان لقصور معرفتهم! وهذا جهلٌ منهم، فإنَّ الذين أنكروه يومَ القيامة ثم عَرَفوه لما تجليَّ لهم في الصُّورةِ التي رأوهُ فيها أولَ مرةٍ هم الأنبياءُ والمؤمنون، وكان إنكارهم مما حَمَدَهم سبحانه وتعالىٰ عليه، فإنه امتحنهم بذلك حتىٰ لا يتبعوا غير الربِّ الذي عَبَدُوه، فلهذا قال في الحديث وهو يسألهم ويثبتهم **«وقد نادىٰ المنادي ليتَّبع كلُّ قومٍ ما كانوا يعبدون»**.

ثم يقالُ لهؤلاء الملاحدة إذا كان عندهم هو الظَّاهِرُ في كلِّ صورةٍ، فهو المنكِر وهو المنكَر! كما قال بعضُ هؤلاء لآخر: مَنْ قال لك: إنْ في الكونِ سوىٰ الله فقد كَذَبَ، وقال له الآخر: فَمنْ هو الذي كذب.

وذكر ابن عربي أنه دخل علىٰ مُريدٍ له في الخلوة، وقد جاءه الغائط فقال: ما أبصر غيره أبول عليه، فقال له شيخُه: فالذي يخرج منْ بطنك

١ـ ههنا تحريف ظاهر فإن قوله: وهو عندهم في الآخرة المنكرون. . . لا معنىٰ له فقد سقط من الناسخ كلام لا سبيل إلىٰ معرفته والمعروف عن ابن عربي في «فتوحاته» يدلُّ عليه ومنه: إن الربَّ تعالىٰ يتجلىٰ لكلِّ أحدٍ بحسب معرفته، فالقاصر المقيد برأيٍ أو مذهب معين لا يعرفه إلا إذا تجلَّىٰ له في صورة اعتقاده، وأما العارف المطلق مِن حِجْر القيود! فإنه يعرفه في كلِّ شيءٍ، ويراه في التجلِّي بكلِّ صورة، لأنَّه في اعتقاده كل شيء (تعالىٰ الله عما يقولون) (قاله محمد رشيد).

مِنْ أينَ هو؟ قال فرَّجت عني! [1]

ومرَّ شيخان منهم التَّلمساني هذا والشيرازي على كلبٍ أجْربٍ ميت، فقال الشيرازي للتلمساني: هذا أيضاً مِنْ ذاته؟ فقال التلمساني: هل ثَمَّ شيءٌ خارجٌ عنها؟

وكان التلمساني قد أضلَّ شيخاً زاهداً عابداً ببيت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبتلى حتىٰ كان يقول: الوجودُ واحدٌ، وهو الله، و لا أرىٰ الواحدَ، ولا أرىٰ الله! ويقول: نطَقَ الكتابُ والسنة بثَنَويَّةِ الوُجود، والوجود واحد لاثَنوية فيه! ويجعل هذا الكلام له تسبيحاً يتلوه كما يتلو التسبيح!

* * *

وأما قول الشاعر:

إذا بَلَغَ الصَّبُّ الكمالَ مِنَ الهوىٰ
وغاب عن المذْكور في سطْوَةِ الذِّكر

فشاهد حقًّا حين يشهده الهوىٰ
بأنَّ صلاة العارفينَ مِنَ الكُفر!

فهذا الكلام مع أنه كفرٌ! هو كلامُ جاهلٍ لا يتصورٌ ما يقول! فإنَّ الفناءَ والغيب هو أن يغيبَ بالمذكور عن الذكر، وبالمعروف عن المعرفة وبالمعبود عن العبادة حتىٰ يفنىٰ مَنْ لم يكن ويبقىٰ مَن لم يزل، وهذا مقام

---

١ ـ نعوذ بمولانا الكريم العظيم من هذا الكلام الذي تقشعر له جلود الشياطين!!

الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كما ل الشهود المطابقِ للحقيقة، بخلاف **الفناء الشرعي** فمضمونه: الفناءُ بعبادته عن عبادة ماسواه، وبحبه عن حُبٍّ ما سواه، وبخشيته عن خشيةِ ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، فإن هذا تحقيق التوحيد والإيمان.

وأما النوع الثالث: مِنَ الفناء وهو الفناء عن وجودِ السِّوىٰ، بحيث يرىٰ أنَّ وجودَ الخالق هو وجودُ المخلوق؟! فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة أهل الوَحدة.

والمقصود هنا أنَّ قولَه «يغيب عن المذكور كلامُ» جاهلٍ، فإن هذا لا يُحمد أصلًا، بل المحمود أنْ يغيبَ بالمذكور عن الذِّكر، لا يغيب عن المذكور في سَطَوات الذكر، اللهم إلا أنْ يريدَ أنه غابَ عن المذكور فشَهِدَ المخلوقَ وشهد أنَّه الخالقُ ولم يشهد الوجود إلا واحداً، ونحو ذلك من المشاهد الفاسدة، فهذا شهودُ أهل الإلحاد لا شهود الموحدين، ولعمري أنَّ مَنْ شهِدَ هذا الشهود الإلحادي فإنه يَرَىٰ صلاةَ العارفين من الكفر!!

* * *

وأما قول القائل:

الــكــونُ ينــادِيــكَ ما تســمــعــني ... مَنْ ألَّــفَ أشْــتَــاتي ومَــنْ فَرَّقَــني

أنْــظُر لتراني منــظراً معــتــبراً ... ما فيَّ سِوىٰ وجُــودِ مَنْ أوْجــدَني

فهو مِنْ أقوال هؤلاءِ الملاحدة، وأقوالهم كفرٌ متناقضٌ باطلٌ في العقل

والدين، فإنه إذا لم يكن فيه إلا وجود مَنْ أوجده، كان ذلك الوجود هو الكونُ المُنادِي وهو المخاطَبُ المُنَادَىٰ، وهو الأشتاتُ المؤلفة المفرَّقة، وهو المخاطبُ الذي قيل له: أنْظُر! وحينئذ يكون الوجودُ الواجبُ القديم الأزلي قد أوْجَدَ نفسَه وفرَّقها وألَّفها جمعٌ بين النقيضين!

فالواجبُ هو الذي لا تَقْبلُ ذاتُه العدم، فممتنعٌ أنْ يكون الشىء الواحدُ قابلاً للعدم غير قابل للعدم! والقديم هو الذي لا أول لوجوده، والمُحدَثُ هو الذي له أوَّلٌ، فيمتنعُ كونُ الشيءِ الواحدِ قديماً مُحْدَثاً! ولولا أنْ قد عُلِمَ مُرادُهم بهذا القول، لأمكن أنْ يُراد بذلك: ما فيَّ سوىٰ الوجودِ الذي خَلَقَه مَنْ أوجَدني، وتكون إضافةُ الوجود إلىٰ الله إضافةَ المُلْكِ، لكنْ قد عُلِمَ أنه لم يُرِدْ هذا! ولأنَّ هذه العبارةُ لا تستعملُ في هذا المعنىٰ، وإنما يُرادُ بوجودِ الله وجود ذاته، لا وجود مخلوقاته.

وهكذا يقول القائل:

ولـــه ذاتُ وُجـــود الـ كون الحـــقِّ شُهـــود
أنـــه ليس لموجُـــو دٍ سوىٰ الحـــقِّ وجُـــود

مُراده: أنَّ وجودَ الكونِ هو نفسُ وجودِ الحقِّ! وهذا هو قولُ أهل الوحدةِ، وإلا فلو أراد أنَّ وجودَ كلِّ موجودٍ مِنَ المخلوقات هو مِنَ الحقِّ تعالىٰ، فليس لشيءٍ وجود مِنْ نفسِه، وإنما وجودُه من ربِّه، والأشياء باعتبار أنفسهـا لا تستحقُّ سوىٰ العَدَم، وإنما حَصَلَ لها الوجود من خالِقها

وبارئِها، فهي دائمةُ الافتقار إليه لا تستغني عنه لحظة لا في الدنيا ولا في الأخرة، لكان قد أراد معنىً صحيحاً[1]، وهو الذي عليه أهلُ العقلِ والدِّين من الأولين والآخرين.

وهؤلاء القائلون بالوحدةِ قولهم متناقضٌ، ولهذا يقولون الشيء ونقيضه! وإلا فقوله: «منه وإلىٰ علاه يُبْدي ويُعيد» يناقض الوحدة فمنْ هو البَادي والعائدُ منه وإليه إذا لم يكن إلا واحد!

****

وقوله:

وَمَـا أنَـا في طِراز[2] الـكَـون شيء
لأني مثـلُ ظِلٍّ مُسـتـحـيـل

يناقض الوحدة، لأن الظلَّ مغايرٌ لصاحب الظلِّ، فإذا شُبِّه المخلوقُ بالظلِّ، لزم إثباتُ اثنين كما إذا شبَّهه بالشُّعاع فإنَّ شعاع الشمسِ ليس هو نفس قرص الشمس، وكـذلـك إذا شبَّهه بضوء السِّراجِ وغيره، والنصارىٰ تُشبه الحلول والإتحاد بهذا.

وقلت لمن حضرني منهم وتكلَّم بشيءٍ من هذا: فإذا كنتم تُشبِّهون المخلوق بالشعاع الذي للشمس والنار، والخالق بالنار والشمس، فلا فرْق في هذا بين المسيح وغيره، فإنَّ كلَّ ما سوىٰ الله علىٰ هذا هو بمنزلة الشعاع والضوء، فما الفرقُ بين المسيح وبين إبراهيم وموسىٰ؟ بل ما الفرق

١ـ هو جواب: وإلا فلو أراد...

٢ـ الطِّراز: عَلَمُ الثوب، معرَّب، وطرَّزه تطريزاً: أعلمه فتطرَّز. (القاموس).

بينه وبين سائر المخلوقات علىٰ هذا؟! وجعلتُ أُردِّدُ هذا الكلام، وكان في المسجد جماعة حتىٰ فهمه فهماً جيِّداً، وتبيَّن له وللحاضرين أنَّ قولهم باطلٌ لا حقيقةَ له، وأنْ ما أثبتوه للمسيح إما ممتنعٌ في حقِّ كلِّ أحدٍ، وإما مُشْتَرَكٌ بين المسيح وغيره، وعلىٰ التقديرين فتخصيصُ المسيحِ بذلك باطل.

وذكرتُ له: أنه ما من آيةٍ جاءَ بها المسيح إلا وقد جاء موسىٰ بأعظم منها، فإنَّ المسيحَ ﷺ وإنْ كان جاءَ بإحياءِ الموتىٰ، فالموتىٰ الذين أحياهم الله علىٰ يدِ موسىٰ أكثر، كالذين قالوا:

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥].

ثم أحياهم الله بعد موتهم، وقد جاء بإحياء الموتىٰ غيرُ واحدٍ من الأنبياء، والنصارىٰ يُصدِّقون بذلك.

أما جَعْلُ «العَصَا» حيَّةً فهذا أعظمُ من إحياءِ الميِّت، فإنَّ الميتَ كانت فيه حياة فَرُدَّتْ الحياةُ إلىٰ محلٍّ كانت فيه الحياة. وأما جَعْلُ خشبة يابسة حيواناً تبتلعُ العصي والحِبال، فهذا أبلغُ في القُدر وأقدر[1] فإن الله يحيي الموتىٰ ولا يجعل الخشب حيًّا.[2]

١ـ كذا في الأصل وفيه تحريف ظاهر من جهل النساخ والمعنىٰ ظاهر وهو: أن آية العصا لموسىٰ أعظم من إحياء الميت لعيسىٰ عليهما السلام وأدل علىٰ قدرة الله تعالىٰ، بما ذكر من الفرق بين البشر والخشب. (الناشر).

٢ـ في المطبوعة: حياة، ولعل الصواب ما أثبتناه.

وأما إنزالُ المائدةِ من السماء، فقد كان ينزلُ علىٰ عَسْكر موسىٰ كلَّ يومٍ من المَنِّ والسَّلوىٰ، وينبُعُ لهم من الحَجَر من الماء ما هو أعظمُ من ذلك، فإنَّ الحلو أو اللحم دائماً هو أجلُّ في نوعه، وأعظمُ في قَدْره، مما كان علىٰ المائدة من الزيتون والسمك وغيرهما، وذكرتُ له نحواً من ذلك مما يُبيِّنُ[1] أنَّ تخصيصَ المسيح بالإتحاد ودعوىٰ الإلهية ليس له وجه، وأنَّ سائرَ ما يُذْكَرُ فيه إمَّا أنْ يكون مُشتركاً بينه وبين غيره من المخلوقات، وإما أنْ يكون مشتركاً بينه وبين غيره من الأنبياء والرسل، مع أنَّ بعض الرسل كإبراهيم وموسىٰ قد يكون أكمل في ذلك منه.

وأما خَلْقُه من امرأةٍ بلا رجلٍ فخلقُ حواء من رجلٍ بلا امرأة أعجبُ من ذلك، فإنه خُلِقَ من بطن امرأة وهذا معتاد، بخلاف الخَلْقِ من ضِلْعِ رجلٍ فإنَّ هذا ليس بمعتاد، فما مِنْ أمرٍ يُذْكَرُ في المسيح ﷺ إلا وقد شَرَكَه فيه أو فيما هو أعظمُ منه غيرُه من بني آدم.

فعُلِمَ قطعاً أنَّ تخصيصَ المسيح باطلٌ، وأنَّ ما يُدْعىٰ له إنْ كان مُمكناً فلا اختصاصَ له به، وإنْ كان ممتنعاً فلا وجودَ له فيه، ولا في غيره، ولهذا قال هؤلاء الإتحادية: إنَّ النَّصارىٰ إنما كفروا بالتخصيص! وهذا أيضاً باطلٌ! فإنَّ الإتحادَ عمومٌ وخصوصٌ، والمقصود هنا أنَّ تشبيه الإتحادية أحدهم بالظِّل المستحيل يُناقض قولهم بالوَحدة!

وكذلك قول الآخر:

أحــن إلــيــه وهــو قَلْبــي وهــل يُرىٰ
سواىَ أخــو وَجْــدٍ يحِنُّ لقــلبِــه

١ـ في المطبوعة: تبين، وهو خطأ.

ويحجب طَرْفي عنه إذْ هو ناظري
وما بُعْده إلا لإفراطِ قُرْبهِ

هو مع ما قصده به من الكفر والإتحاد، كلامٌ متناقضٌ! فإنَّ حنينَ الشيء إلىٰ ذاته متناقضٌ، ولهذا قال: «**وهل يُرىٰ أخو وجد يحن لقلبه؟**».

وقوله: «**وما بعده إلا لإفراط قربه**» متناقض، فإنه لا قُرْبَ ولا بُعْدَ عند أهل الوحدة، فإنها تقتضي أنْ يَقْرُبَ أحدُهما من الآخر، والواحد لا يقربُ من ذاته، ويبعد من ذاته!!

* * *

وأما قول القائل: «**التوحيدُ لا لسانَ له، والألسنةُ كلُّها لسانه**» فهذا أيضاً مِنْ قول أهلِ الوَحدة، وهو مع كفره، قولٌ متناقضٌ، فإنه قد يُعلم بالإضطرار من دين الإسلام، أنَّ لسانَ الشركِ لا يكون له لسانُ التوحيد! وأنَّ أقوالَ المشركين الذين قالوا:

﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

والذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

والذين قالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۞ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٣-٥٤].

والذين قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ﴾[الأنبياء: ٦٨]. ونحو هؤلاء لسان هذا هو لسان التوحيد؟!

وأما تناقض هذا القول علىٰ أصلهم، فإنَّ الوجودَ إنْ كان واحداً كان إثباتُ التعدد تناقضاً، فإذا قال القائل: الوجوُد واحد، وقال الآخر: ليس بواحد بل يتعدَّد، كان هذان قولين متناقضين، فيمتنع أنْ يكون أحدهما هو الآخر، وإذا قال قائل: «الألسنةُ كلُّها لسانه» فقد صرَّح بالتعدد في قوله: الألسنة كلها، وذلك يقتضي أنْ لا يكون هذا اللسان، هو هذا اللسان، فَثَبَتَ التعدد وبطلت الوحدة.

وكلُّ كلامٍ لهؤلاء ولغيرهم فإنه ينقضُ قولهم، فإنهم مضطرون إلىٰ إثبات التَّعدد.

فإنْ قالوا: الوجود واحد، بمعنىٰ أنَّ الموجوداتِ اشتركتْ في مسمَّىٰ الوجود، فهذا صحيح، لكنَّ الموجوداتِ المشتركاتِ في مسمَّىٰ الواحدِ لا يكون وجودُ هذا منها عين وجود هذا، بل هذا اشتراكٌ في الإسم العام الكلي، كالاشتراك في الأسماء التي يُسميها النُّحاةُ اسم الجنس، ويقسمها المنطقيون إلىٰ جنسٍ ونوع وفصل، وخاصة وعرض عام، فالاشتراك في هذه الأسماء هو مُسْتَلْزِمٌ لتباينِ الأعيان، وكون أحد المشتركين ليس هو الآخر.

وهذا مما به يُعلم أن وجودَ الحقِّ مباينٌ للمخلوقاتِ، أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الموجود، فإذا كان وجودُ الفُلْكِ مُبايناً مخالفاً لوجود ا لذَّرَّةِ والبعوضة، فوجود الحقِّ تعالىٰ أعظم مباينةً لوجودِ كلِّ مخلوقٍ، مِنْ مباينةِ وجودِ ذلك المخلوق لوجود مخلوقٍ آخر.

وهذا وغيره مما يُبين بطلان قول ذلك الشيخ حيث قال: «لا يَعْرِفُ

التوحيدَ إلا الواحد، ولا تصحُّ العبارة عن التوحيدِ وذلك لا يعبر عنه إلا بغير، ومَنْ أثبتَ غَيراً فلا توحيدَ له» فإنَّ هذا الكلام مع كفره متناقض! فإنَّ قوله: «لا يعرفُ التوحيدَ إلا واحد» يقتضي أنَّ هناك واحداً يعرفه، وأنَّ غيره لا يعرفه، هذا تفريقٌ بين مَنْ يعرفه ومَن لا يعرفه، وإثباتُ اثنين أحدهما يعرفه والآخر لا يعرفه، إثباتٌ للمُغَايرة بين مَنْ يعرفه ومَنْ لا يعرفه، فقوله بعد هذا: من أثبتَ غيراً فلا توحيدَ له، يناقض هذا!

وقوله «إنَّه لا تصحُّ العبارة عن التوحيد» كفرٌ بإجماع المسلمين! فإنَّ الله قد عبَّر عن توحِيدِه، ورسوله عبَّر عن توحيده، والقرآن مملوءٌ من ذكرِ التوحيد، بل إنما أَرْسَلَ الله الرُسُلَ وأنزل الكتب بالتوحيد، وقد قال تعالىٰ:

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥][١]

ولو لم يكن عنه عبارة، لما نَطَقَ به أحدٌ، وأفضلُ ما نطقَ به الناطقونَ هو التوحيد، كما قال النبي ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إلهَ إلا الله، وأفضلُ الدُّعاءِ الحَمْدُ لله**»[٢].

١ـ في المطبوعة: يوحي، وهو خطأ.

٢ـ حسن، أخرجه أحمد والترمذي في الدعاء (٥/٤٦٢) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١) وابن ماجة (٣٨٠٠) وابن حبان (٢٣٢٦ـ موارد) والحاكم =

وقال: «مَنْ كانَ آخِرُ كلامِهِ لا إلَهَ إلا الله، دَخَلَ الجنَّة».[1]

= (٤٩٨/١، ٥٠٣) و البغوي في «شرح السنة» (٤٩/٥) عن موسىٰ بن إبراهيم بن كثير الأنصاري عن طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبدالله يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره.

قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسىٰ بن إبراهيم.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وفيه: موسىٰ بن إبراهيم الأنصاري، قال الحافظ ابن حجر: لم أقف في موسىٰ علىٰ جرح ولا تعديل، إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات وقال: يخطيء مع قلة روايته فكيف يوثق ويصحح حديثه؟ ولعل من صححه أو حسنَّه تسمَّح في ذلك لكونه في فضائل الأعمال. (أنظر عمل اليوم).

وقال في التقريب: صدوق يخطيء.

١ـ حسن، أخرجه أحمد (٢٣٣/٥) وأبو داود (٣١١٦/٣) ويعقوب بن سفيان في تاريخه (٣١٢/٢) والحاكم (٣٤١/١) والخطيب في تاريخه (٣٣٥/١٠) عن عبدالحميد بن جعفر حدثني صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل مرفوعاً به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي!

وصالح بن أبي عريب قال فيه ابن القطان: لا يعرف حاله، ولا يُعرف روى عنه غير عبدالحميد بن جعفر، وتعقبه الذهبي بقوله: بلىٰ، روىٰ عنه حيوة بن شريح والليث وابن لهيعة وغيرهم، له أحاديث، وثقة ابن حبان (الميزان).

وقال الحافظ في التقريب: مقبول.

لكن التوحيد الذي يُشير إليه هؤلاءِ الملاحدة ـ وهو وَحْدةُ الوجود ـ أَمرٌ ممتنعٌ في نفسه، لا يُتَصوَّر تحققه في الخارج، فإنَّ الوَحدةَ العينيةَ الشخصيةَ تمتنع في الشيئين المتعددين، ولكنَّ الوجودَ واحدٌ في نوع الوجودِ، بمعنىٰ أنَّ الاسم الموجود اسمٌ عام يتناول كلَّ أحدٍ، كما أنَّ اسمَ الجسم والإنسان ونحوهما، يتناول كلَّ[4] جسمٍ وكلَّ إنسان، وهذا الجسمُ ليس هو ذاك، وهذا الإنسانُ ليس هو ذاك، وكذلك هذا الوجودُ ليس هو ذاك.

وقوله: «لا يصحُّ التعبير عنه إلا بغير» يقالُ له ـ أولًا ـ التعبير عن التوحيد يكون بالكلام، والله يُعبِّر عن التوحيد بكلامه[1]، فكلام الله

= وأخرجه الطبراني في الأوسط ـ كما في المجمع (٢ / ٣٢٣) ـ عن علي مرفوعاً، لكن قال: «لم يدخل النار».

قال الهيثمي: وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني.

لكن للحديث شاهد من حديث حذيفة، أخرجه أحمد (٥ / ٣٩١) عن حماد بن سلمة عن عثمان البتي عن نعيم (قال عفان في حديثه: ابن أبي هند) عن حذيفة قال: أسندت رسول الله ﷺ إلىٰ صدري فقال: **« من قال لا إله إلا الله ـ قال حسن: ابتغاء وجه الله ـ ختم له بها، دخل الجنة، ومن صام. . . »**.

قال المنذري في الترغيب (٢ / ٦١): رواه أحمد بإسناد لا بأس به، وهو كما قال.

٤ـ تكررت «كل» في المطبوعة.

١ـ في المطبوعة: والله يعبر عن التوحيد بكلام الله!
ولعل صواب العبارة ما أثبتناه.

وعلمه وقدرته وغير ذلك من صفاته لا يُطْلَق عليه عند السلف والأئمة القول بأنه الله، ولا يُطلق عليه بأنَّه غيرُ الله، لأنَّ لفظَ «الغَير» قد يُرادُ به ما يُباينُ غيره، وصفةُ الله لا تُباينه، ويرادُ به مالم يكن إياه، وصفةُ الله ليست إياه، ففي أحدِ الإصطلاحين يُقال إنه غَير، وفي الإصطلاح الآخر لا يُقال إنه غير، فلهذا لا يُطلقُ أحدهما إلا مقروناً ببيان المرادِ، لئلا يقول المبتدعُ: إذا كانت صفة الله غيره، فكلُّ ما كان غيرُ الله فهو مخلوق! فيتوسل بذلك إلىٰ أن يجعل علم الله وقُدْرتِه وكلامِه ليس هو صفة قائمة به، بل مخلوقة في غيره، فإنَّ هذا فيه من تعطيل صِفات الخالقِ وجحد كماله، ما هو مِنْ أعظمِ الإلحاد، وهو قول الجهمية الذي كفَّرهم السلف والأئمة تكفيراً مطلقاً. وإنْ كان الواحدُ المعينُ لا يُكفَّرُ إلا بعد قيامُ الحُجَّةِ التي يَكْفُرُ تاركها[1].

وأيضاً فيقال فهؤلاء الملاحدة: إنْ لم يكنْ في الوجود «غَيْرٌ» بوجهٍ من الوجود، لزِمَ أن يكون كلامُ الخلْقِ وأكلِم وشربِهم ونكاحِهم وزناهم وكفرهم وشِركهم، وكلٍّ ما يفعلونه من القبائحِ، هو نفسُ وجودِ الله، ومعلومٌ أنَّ مَن جعل هذا صفةً لله، كان من أعظمِ الناسِ كفراً وضلالاً، فمن قال: إنَّه عينُ وجُودِ الله، كان أكفر وأضل! فإنَّ الصفاتَ والأعْراضَ لا تكون عينُ الموجودِ القائمِ بنفسه، وأئمة هؤلاء الملاحدةِ كابن عربي يقول:

وكــلُّ كَلامٍ في الــوُجــودِ كَلاَمُــه
سَواءٌ علينــا نَثْــرُهُ ونِــظَامــه!

١ـ يعني أنَّ السلفَ كفَّروا الجهمية ببدعتهم في الإلحاد بصفات الله، وإنكار كونها =

فيجعلون كلام المخلوقين من: الكُفرِ والكذبِ و غير ذلك، كلاماً لله!
وأما هذا اللُحَيد[1] فزادَ علىٰ هؤلاء فجعل كلامَهم وعبادتهم نفس وجودِه، لم يجعل ذلك كلاماً له، بل يقال أن يكون[2] هنا كلام له لئلا يثبت غَيْراً له.

وقد عُلِمَ بالكتاب والسنة والإجماع، وبالعلوم العقلية الضرورية، إثباتُ غير الله تعالىٰ، وأنَّ كلَّ ما سواه من المخلوقاتِ فإنه غيرُ الله تعالىٰ ليس هو الله، ولا صفةٌ من صفات الله، ولهذا أنكرَ الله علىٰ منْ عَبَدَ غيره، ولو لم يكن هناك «غَيْرٌ» لما صحَّ الإنكار قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[الزمر: ٦٤]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾[الأنعام: ١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[فاطر: ٣]. وقال تعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

* * *

وكذلك قول القائل: «وَجدْتُ المحبةَ غيرَ المقصود، لأنها لا تكون إلا مِن غَيرٍ لغير، وغير ماثَمَّ، ووجدتُ التوحيدَ غيرَ المقصودِ، لأنَّ التوحيدَ

= معاني وجودية قائمة بذاته، وزعمهم أنَّ كلامه أصواتاً خَلَقَها في سمعِ موسىٰ وغيره! (الناشر).

١ـ كذا في الأصل، فإن لم يكن محرفاً تصغير لأحد: اسم فاعل من: لحد الثلاثي وهو بمعنىٰ ألحد. (الناشر).

٢ـ كذا في الأصل فيحرر لفظاً ومعنىٰ. (الناشر).
قلت: والعبارة فيها سقط والله أعلم.

ما يكون إلا من عبدٍ لربٍّ، لو أنصفَ الناسُ ما رأوا عَبداً ولا معبوداً!!» هو كلامٌ فيه من الكفر والإلحاد والتناقض ما لا يخفىٰ، فإنَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، أثبتَتْ محبة الله لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ ﴾[البقرة: ١٦٥]. وقوله: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة: ٥٤]. وقوله ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[التوبة: ٢٤]. وقوله: **﴿إن الله يحب المتقين﴾﴿يحب المحسنين﴾﴿يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.**

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح **«ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه وَجَدَ حلاوَة الإيمان: مَنْ كان الله ورسُولُه أحبَّ إليه مما سواهُما، ومَنْ كانَ يحبُّ المرءَ لا يحبُّه إلا الله، ومَنْ كان يكْرَه أنْ يَرجِعَ في الكُفْر بعد إذْ أنْقَذه الله منه، كما يكرهُ أنْ يُلْقىٰ في النار»**[1]

وقد أجمع سلفُ الأُمةِ وأئمتها علىٰ إثباتِ محبةِ الله تعالىٰ لعباده المؤمنين، ومحبتهم له، وهذا أصلُ دينِ الخليل إمام الحنفاء عليه السلام.

وأولُ مَنْ أظهر ذلك في الإسلام:[2] الجعدُ بن درهم، فَضَحَّىٰ به خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحىٰ بواسط، قال: أيُّها الناسُ ضحُّوا يقبل الله ضَحَاياكم، فإني مُضَحٍّ بالجعد بن درهم، إنَّه زَعَمَ أن الله لم يتخذْ

١ـ أخرجه البخاري في الإيمان (١/ ٦٠، ٧٢) وفي الأدب (١٠/ ٤٦٣) وفي الإكراه (١٢/ ٣١٥) ومسلم في الإيمان (١/ ٦٦ـ٦٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

٢ـ أي أظهر إنكار محبة الله تعالىٰ.

إبراهيم خليلاً، ولم يكلِّم موسىٰ تكليماً، تعالىٰ الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه.[1]

وقوله: «المحبةُ ما تكون إلا من غَيْرٍ لغير، وغير مَاثَمٌ» كلامٌ باطل من كل وجه! فإنَّ قوله: «لا يكون إلا من غًيرٍ» ليس بصحيح، فإنَّ الإنسانَ

١ـ أخرج هذه القصة: البخاري في «خلق أفعال العباد» (٣) وفي تاريخه الكبير (١/٦٤) وعثمان الدارمي «في الرد علىٰ الجهمية» (١٣، ٣٨٨) والآجري في «الشريعة» (ص ٩٧، ٣٢٨) والبيهقي في سننه (١٠/٢٠٥ـ٢٠٦) وفي الأسماء والصفات (ص٢٥٤) والذهبي في العلو (ص ١٠٠) كلهم عن القاسم بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده حبيب بن أبي حبيب قال: خطبنا خالد بن عبدالله القسري بواسط يوم الأضحىٰ فقال: أيها الناس فذكره.

وفيه: أبو عبد الرحمن محمد بن حبيب الجرمي مجهول، وابنه عبدالرحمن قال الحافظ في التقريب: مقبول، وجده حبيب قال عنه: صدوق يخطىء.

وللقصة طريق أخرىٰ: أخرجها ابن أبي حاتم ـ كما في العلو للذهبي (١٠٠) ـ حدثنا عيسىٰ بن أبي عمران الرملي حدثنا أيوب بن سويد عن السري بن يحيىٰ قال: خطبنا خالد القسري. . .

وفيه أيوب بن سويد الرملي ضعفه ابن معين و أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم، وقال الحافظ: صدوق يخطىء.

وعيسىٰ بن أبي عمران ذكره ابن أبي حاتم في كتابه (٦/٢٨٤).
وقال: كتبت عنه بالرملة فنظر أبي في حديثه فقال: يدل حديثه أنه غير صدوق، فتركت الرواية عنه.

يحبُّ نفسَه وليس غيراً لنفسه، والله يحبُّ نفسه، وقوله: «ماثَمَّ غير» باطل! فإنَّ المخلوقَ غير الخالق، والمؤمنون غير الله وهم يُحبونه، فالدَّعوىٰ باطلة، فكل واحدةٍ من مقدمتي الحجة باطلة.

قوله: «لا تكون إلا من غير لغير» وقوله: «غير ماثم» فإنَّ الغيرَ موجودٌ، والمحبةُ تكونُ من المحبوب لنفسه، يحب نفسه، ولهذا كثير من الاتحادية يناقضه في هذا ويقول كما قال ابن الفارض[1].

وكذلك قوله: «التوحيدُ لا يكونُ إلا من عبدٍ لربٍّ، ولو انصفَ الناس ما رأوا عابداً ولا معبوداً» كِلَا المقدمتين باطل! فإنَّ التوحيدَ يكون من الله لنفسِه، فإنه يُوحِدُ نفسَه بنفسِه، كما قال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[آل عمران: ١٨]. والقرآن مملوءٌ من توحيدِ الله لنفسه، فقد وحَّد نفسه بنفسه، كقوله: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[البقرة: ١٦٣]. وقوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ ﴾ [النحل: ٥١] ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]. وأمثال ذلك.

وأما الثانية فقوله: «إنَّ الناسَ لو انصفوا ما رأوا عابداً ولا معبوداً» مع أنه غايةٌ في الكُفْرِ والإلحاد كلامٌ متناقضٌ، فإنه إذا لم يكن عابدٌ ولا معبود بل الكل واحد، فمَنْ هم الذين لا يُنْصِفون؟ إنْ كانوا هم الله فيكون الله هو الذي لا يُنصف، وهو الذي يأكلُ ويشرب ويكفر! كما يقول ذلك كثير منهم، **مثلما قال بعضهم لشيخه**: الفقيرُ إذا صحَّ أكلَ بالله، فقال له الآخر: الفقيرُ إذا صح أكلَ الله!!

---

(١) ـ لم يذكر عن ابن الفارض هنا شيئاً. (الناشر).

وقد صرَّح ابن عربي وغيره من شيوخهم بأنه هو الذي يجوع ويعطش، ويمرض ويبول، ويَنكح ويُنكح، وأنه موصوفٌ بكلِّ نقصٍ وعيبٍ، لأنَّ ذلك هو الكمال عندهم! كما قال في «الفصوص»: فالعلي لنفسه هو الذي يكونُ له الكمالُ الذي يستقصي به جميع الأمور الوجودية [و][1] النسب العدمية، سواء كانت محمودةً عُرْفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمىٰ الله خاصة!

وقال: ألا[2] تَرَىٰ الحقَّ يَظهرُ بصفاتِ المحدثاتِ وأخبرَ بذلك عن نفسه، وبصفات النَّقص والذم؟ ألا ترىٰ المخلوق يظهر بصفات الخالق فهي كلها من أولها إلىٰ آخرها صفاتٌ للعبدِ، كما أنَّ صفاتَ العبدِ من أولها إلىٰ [آخرها] [3] صفات لله تعالىٰ.

هذا المتكلم بمثل هذا الكلام يتناقضُ فيه، فإنه يقال له: فأنت الكامل في نفسك الذي لا ترىٰ عابداً ولا معبوداً يُعاملك بموجب مذهبك، فيُضرب ويُوجع ويُهان ويُصفع ويُظلم، فمن فُعِلَ به ذلك واشتكىٰ أَو صاحَ منه وبكىٰ، قيل له: ماثَمَّ غير، ولا عابد ولا معبود، فَلَمْ يَفْعل بك هذا غيرك! بل الضاربُ هو المضروب، والشَّاتمُ هو المشتوم، والعابدُ هو المعبود فإن قال: تَظَلَّم مِنْ نفسه، واشتكىٰ من نفسه! قيل له: فقُل أيضاً عبد نفسه، فإذا أثبتَ ظالماً ومظلوماً وهما واحد، فأثبت عابداً ومعبوداً وهما واحد.

١ـ ساقطة من المطبوعة.

٢ـ في المطبوعة: لا، وهو خطأ.

٣ـ ساقطة من المطبوعة ويقتضيها السياق.

ثم يقـال له هذا الذي يضحك ويضرب، هو نفسُ الذي يبكي ويصيح، وهذا الذي شبع وروى، هو نفسُ هذا الذي جاع وعطش، فإنْ اعترفَ بأنه غيره، أثبتَ المُغايرة، وإذا أثبَتَ المغايرة بينَ هذا وهذا، فبين العابد والمعبود أولىٰ وأحْرىٰ، وإن قال: هو هو، عُومِلَ معاملة جنس «السُّوفسطائية» فإنَّ هذا القول من أقبحِ السَّفْسَطة، فيقال: فإذا كان هو هو، فنحنُ نضربكَ ونقتلكَ والشيء قتل نفسه وأهلك نفسه!!

والإنسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ لكون نفسه أمرته بالسُّوء، والنفس أمَّارةٌ بالسوءِ، لكن جهةَ أمرِها ليست جهةَ فِعْلها، بل لا بُدَّ مِنْ نوعِ تعدد، إمَّا في الذَّات، وأمَّا في الصفات، وكلُّ أحدٍ يعلم بالحسِّ والاضطرار أنَّ هذا الرجل الذي ظَلَمَ ذاك، ليس هو إياه، وليس هو بمنـزلة الرجل الذي ظلم نفسه، وإذا كان هذا في المخلوقين، فالخالق أعظم مُباينةً للمخلوقين مِن هذا لهذا، سبحانه وتعالىٰ عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولولا أنَّ أصحاب هذا القول كَثُروا وظهروا وانتشروا، وهم عند كثيرٍ من الناس ساداتُ الأنام، ومشايخِ الإسلام، وأهلُ التوحيد والتحقيق، وأفضلُ أهلِ الطريق، حتىٰ يُفَضِّلُوهم علىٰ الأنبياء والمرسلين! وأكابر مشايخ الدين! لم كين بنا حاجة إلىٰ بيان فسادِ هذه الأحوال، وإيضاح هذا الضلال، ولكن يُعلم بذلك أنَّ الضلال لا حدَّ له، وأنه إذا كررت[1] العقول، لم يبق لضلالها حدٌّ معقول.

١ـ كذا في المطبوعة!

ولعل الكلمة: فسدت أو انحرفت العقول.

فسبحان مَنْ فرَّق في نوعِ الإنسان فجعل منه من هو أفضلُ العالمين، وجعل منه مَنْ هو مِنْ شرارِ الشياطين، ولكن تشبيه هؤلاء بالأنبياءِ والأولياء، كتشبيه مسيلمة الكذاب، بسيدِ أولي الألباب! هو الذي يُوجب جهادَ هؤلاء الملحدين الذين يفسدون الدينا والدين.

والمقصود هنا ردُّ هذه الأقوال، وبيان الهدي من الضلال، وأما توبه من قالها وموته علىٰ الإسلام، فهذا يرجع إلىٰ الملك العلَّام، فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ومن الممكنات أنه قد تاب جُلُّ أصحاب هذه المقالات، والله تعالىٰ غافر الذنب قابلُ التَّوب شديدُ العقاب، والذنب وإنْ عَظُمَ، والكفر وإنْ غلظ وجَسم، فإنَّ التوبة تمحو ذلك كله، والله سبحانه لا يتعاظمه ذنب أن يغفره لمن تاب بل يغفر الشرك وغيره للتائبين، كما قال تعالىٰ:

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذه الآية عامةٌ مطلقة لأنها للتائبين، وأما قوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

فإنها مقيدة خاصة لأنها في حقِّ غير التائبين لا يغفر لهم الشرك، وما دون الشرك مُعَلَّقٌ بمشيئةِ الله تعالىٰ.

* * *

والحكاية المذكورة عن الذي قال: إنه التقم العَالَم كلَّه، وأراد أنْ يقول:

أنا الحق، وأختها التي قيل فيها إنَّ الإلهية لا يدعيها[1] إلا أجهل خلق الله وأعرف خلق الله ـ هو من هذا الباب.

والفقير الذي قال: ما خَلَقَ الله أقل عقلا ممن ادَّعىٰ أنه إله مثلَ: فرعون ونمرود وأمثالها، هو الذي نطق بالصواب، وسدد الخطاب، ولكن هؤلاء الملاحدة يُعظِّمون فرعون وأمثاله، ويَدَّعون أنهم[2] من موسىٰ وأمثاله، حتىٰ إنه حدثني بهاء الدين عبدالسيد الذي كان قاضي اليهود وأسلمَ وحَسُنَ إسلامه وكان قد اجتمع بالشيرازي أحد شيوخ هؤلاء، ودعاه إلىٰ هذا القول وزَيَّنه له، فحدثني بذلك فبيَّنت له ضلال هؤلاء وكفرهم، وأنَّ قولهم من جنس قول فرعون، فقال لي: إنه لما دعاه حسن الشيرزاي قال له: قولكم هذا يشبه قول فرعون، فقال: نعم، ونحن علىٰ قول فرعون! وكان عبدالسيد لم يُسْلِم بعد، فقال: أنا لا أدع موسىٰ وأذهب إلىٰ فرعون، قال له: ولم؟ قال: لأنَّ موسىٰ أغرق فرعون. فانقطع فاحتج عليه بالنَّصر القَدَري الذي نصر الله موسىٰ، لا بكونه كان رسولاً صادقاً! قلت لعبد السيد: وأقرَّ لك أنه علىٰ قول فرعون؟ قال: نعم، قلت: فمن سمع إقرار الخصم لا يحتاج إلىٰ بيِّنة، أنا كنتُ أريدُ أنْ أبيِّنَ لك أنَّ قولهم هو قول فرعون، فإذا كان قد أقرَّ بهذا حصل المقصود.

فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، وقد نبهنا علىٰ بعض ما به يعرف معناها وأنه باطل والواجب إنكارها فإنَّ إنكار هذا المنكر السَّاري

١ـ في المطبوعة: يدعها، وهو خطأ.

٢ـ سقط من هنا كلمة: أعرف أو أعلم أو أفضل. (الناشر)

في كثير من المسلمين، أولىٰ من إنكار دين اليهود والنصارىٰ الذي لا يضل به المسلمون، لا سيما وأقوال هؤلاء شرٌّ من قول اليهود والنصارىٰ، ومن عرف معناها واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالىٰ: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: ٩].

والنفاق إذا عَظُم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب، وكان في الدَّرْكِ الأسفل من النار.

وليس لهذه المقالات وجهٌ سائغ، ولو قُدِّر أنَّ بعضها يحتمل في اللغة معنىٰ صحيحاً، فإنَّ ما يحمل عليها إذا لم يُعْرَف مقصود صاحبها،[1] وهؤلاء قد عُرِفَ مقصودهم كما عُرف دين اليهود والنصارىٰ والرافضة، ولهم في ذلك كتبٌ مصنَّفة، وأشعار مؤلَّفة، وكلامٌ يفسِّر بعضُه بعضاً، وقد عُلِم مقصودهم بالضرورة، فلا يُنازع في ذلك إلا جاهلٌ لا يلتفت إليه.

ويجب بيان معناها، وكشف مغزاها لمن أحسنَ الظن بها، أو خِيفَ عليه أنْ يُحسن الظنَّ بها وأنْ يَضل، فإنَّ ضرر هذه علىٰ المسلمين أعظم من ضرر السُّمومِ التي يأكلونها ولا يعرفون أنها سموم، وأعظم من ضرر السُّرَّاقِ والخونة الذين لا يُعرفون أنهم سراق وخونة، فإن هؤلاء غاية ضررهم: موت الإنسان أو ذهاب ماله، وهذه مصيبةٌ في دنياه قد تكون سبباً لرحمته في الآخرة، وأما هؤلاء فيسقون الناس شرابَ الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه! ويَلْبَسون ثيابَ المجاهدين في سبيل الله، وهم

١ـ في الكلام تحريف وسقط، والمعنىٰ: المفهوم من القرينة أنها إنما يصح أن تُحمل علىٰ معنىٰ صحيح تحتمله اللغة إذا لم يعرف مقصود صاحبها. (الناشر).

في الباطن من المحاربين لله ورسوله، ويُظهرون كلام الكفار والمنافقين، في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين، فيدخل الرجل معهم علىٰ أن يصير مؤمناً ولياً لله فيصير منافقاً عدواً لله .»[1]

١ـ ولهذا كان النفاق والمنافقون أخطر علىٰ الأمة من الكافر الأصلي، لأنه مستعلن بكفره لا يغر أحداً من المسلمين بقول ولا فعل، أما هؤلاء الذين يخدعون المسلمين، ويوهمونهم أنهم من الصالحين الزهاد العباد وهم علىٰ خلاف ذلك في الباطن فهم الذين حذر الله تعالىٰ منهم بقوله : **﴿هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أني يؤفكون﴾** .

وهم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ٨ـ١٦].

وهم الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤ـ٢٠٦].

=

ولقد ضربت لهم مرَّةً مثلاً بقوم أَخَذوا طائفة من الحاج لِيَحجُّوا بهم، فذهبوا بهم إلىٰ قبرص، فقال لي بعض مَنْ كان قد انكشف له ضلالهم من أتباعهم: لو كانوا يذهبون بنا إلىٰ قبرص لكانوا يجعلوننا نصارىٰ، وهؤلاء يجعلوننا شراً من النصارىٰ! والأمر كما قاله هذا القائل.

وقد رأيْتُ وسمعتُ عمن ظنَّ هؤلاء مِن أولياء الله، وأن كلامهم كلام العارفين المحققين مَنْ هو مِنْ أهل الخير والدين مالا أُحصيهم، فمنهم من دخل في اتحادهم وفَهِمَه وصار منهم، ومنهم مَنْ كان يُؤمِنُ بها لا يعلم، ويُعظِّم مالا يفهم، ويصدِّق بالمجهولات، وهؤلاء هم أصلح الطوائف الضالين، وهم بمنزلة مَنْ يُعظِّم أعداءَ الله ورسوله ولا يعلم أنهم أعْداءُ الله ورسوله، ويُوالي المشركين وأهل الكتاب، ظاناً أنهم من أهل الإيمان وأولي الألباب، وقد دخل بسبب هؤلاء الجُهَّال المعظِّمين لهم من الشر علىٰ المسلمين، مالا يُحصيه إلا ربُّ العالمين، وهذا الجواب، لم يتسع لأكثر من هذا الخطاب، والله أعلم.

انتهت الرسالة

= وغيرها من الآيات المحذرة منهم ومن مكرهم وخداعهم وتضليلهم لهذه الأمة، فنسأل الله العظيم أن يهيء لهذه الأمة المباركة من يفضح أستارهم ويكشف عوارهم ويظهر أسرارهم ونسأله أن يعز الإسلام والمسلمين ويذل الكفر والكافرين والنفاق والمنافقين إنه هو السميع العليم.

[في آخر المطبوعة ما يلي]:

(المنار) أرسل إلينا هذه الرسالة مع رسائل وفتاوىٰ أخرىٰ لشيخ الإسلام وناصر السنة الإمام أحمد تقي الدين بين تيمية قدَّس الله روحه أخونا في الله الأستاذ الفاضل الشيخ محمد بهجة الأثري البغدادي بإرشاد أستاذه صفوة أصدقائنا علامة العراق ورحلة أهل الآفاق السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالىٰ، وهي منقولة بقلم الأستاذ الفاضل الشيخ محمد علي الفضيلي الزبيدي البغدادي عن نسخة كثيرة الغلط والتحريف والسقط قال إنه اجتهد في تصحيحها ما استطاع. ونقول: إننا اجتهدنا بعده فصححنا مما بقي من ذلك ما تيسر لنا ونبهنا علىٰ بعض ما يتيسر في الحواشي وعلىٰ بعض آخر بعلامة الإستفهام (؟) بجانبه. ونحمد الله تعالىٰ أن صار المراد منها كله مفهوماً، فنسأله تعالىٰ أن يثيب الجميع ـ المؤلف والناسخ والمرسل والمرشد والناشر بفضله وكرمه.

فهرست الأحاديث والآثار

طرف الحديث	الصفحة
أتاني ربي عز وجل الليلة في أحسن صورة	٩١
أتموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم خلف ظهري	٦٨
أتموا الصفوف فإني أراكم خلف ظهري	٦٨
أفضل الذكر لا إله إلا الله	١٠٧
أيها الناس توبوا إلىٰ ربكم	٥١
تعلم آخر سورة نزلت	٥٢
تعلموا أنه لن يرىٰ أحد منكم ربه عز وجل حتىٰ يموت	٩٠
ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان	١١٢
شاهت الوجوه	٨٥
من أطاعني فقد أطاع الله	٨٧
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	١٠٨
لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة	٧٧
لا تطروني كما أطرت النصارىٰ المسيح بن مريم	٩٠
لا يشكر الله من لا يشكر الناس	١٣

فهرست التراجم

الاســم	الصفحة

الفهرست العام للكتاب

الموضوع	الصفحة

من بديع قول شيخ الاسلام في هذه الرسالة

.. فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل، وقد نبهنا على بعض ما به يعـرف معناها وأنه باطل والواجب إنكارها فإنَّ إنكار هذا المنكر السَّاري في كثير من المسلمين، أولى من إنكار دين اليهود والنصارى الذي لا يضل به المسلمون، لا سيما وأقوال هؤلاء شرٌّ من قول اليهود والنصارى، ومن عرف معناها واعتقـدهـا كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله تعالى:

﴿ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾

[التحريم: ٩]

والنفاق إذا عظُم كان صاحبه شراً من كفار أهل الكتاب، وكان في الدَّرْكِ الأسفل من النار.



